المراهقة

مشكلات وحلول

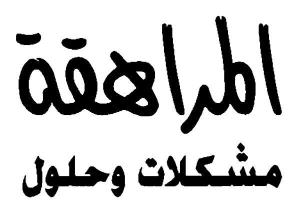
عبد العظيم نصر مشيخص



بيروت - لبنان



شبكة الفكر
alfeker.net



المراهقة
مشكلات وحلول

الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م



بيروت ـ بئر العبد ـ الصنوبرة ـ مقابل سنتر داغر ـ بناية دياب مهدي ط٢

تلفاكس: ٠١/٥٥٢٩٠٠
تلفون: ٠٣/٢٢٥٧٦٥
ص. ب: ٢٥/٩٧

Tel. Fax: 01/837654
Tel.: 03/225765
P.O.Box: 97/25

المراهقة

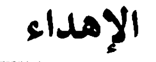
مشكلات وحلول

عبد العظيم نصر مشيخص



بيروت - لبنان





- إلى كل مراهق استطاع التحكم في سلوكه
- وتمكن من ضبط مشاعره..
- واتجه صوب صقل المواهب..
- وإنماء الكفاءات..نحو حياة أفضل..

مدخل

بين يدي القرآن الكريم يتعلم الإنسـان مفـاهيم الحيـاة البشرية، التي هي زاده لطريقه الطويل في فترات الخلافة الإنسانية على وجه الأرض، باعتبار القرآن كتاب حياة شامل لكل معـالم البشرية القديمة منها والحديثة. وهو دستور المؤمن الذي لا يستغني عنه ومنهجه التعليمي الذي ينهل منه دروسه ومبادئه وأخلاقه.

من هنا يتحدث القرآن عن أكبر مشكلة نفسية واجتماعية في حياة الإنسان، ألا وهي فترة الشباب والحيوية التي تطبعـها، سواء أكان ذكراً أو أنثى.

وتحت هذا العنوان تحدث أهل الاختصاص في علوم القرآن الكريم، واتفقت كلمتهم على أن هذه الفترة الـتي تمـر علـى الشباب، فترة حرجة وخطيرة في الوقت ذاته، ينبغي على الآبـاء والأمهات أن يهتموا بها ويعتنوا بمعالجتها ويوجهوا خصائصها إلى ما فيه صالح الشاب والفتاة، وإلا انقلب السحر على الساحر.

المشكلة أين!

إن أحاسيس الشاب بعد بلوغه سن الرشد تتغير، فتتغير معالم جسمه الخارجية والداخلية، وتظهر عنده المشاعر الجياشة والأحاسيس النارية، كما تتغير أخلاقه وسجاياه بكل ما في الكلمة من معنى، ويحدث عندئذ صراع مرير يعيشه الإنسان البالغ، حيث يكمن هذا الصراع بين دوافع الروح وميول الجسد، فتشده عوامل الروحانيات لما فيه صلاحه ونجاحه وسعادته في الدارين، بينما تدفعه الرغبات والميول وعوامل أُخرى نحو السقوط في حمأة الرذائل والفساد والرغبات المحرمة شرعاً وعقلاً وعرفاً.. فتتغير كلياً تصرفاته وسلوكياته وحركاته وسكناته بسبب تواجد ذلك الصراع في داخله.

يقول الكاتب الكبير(ألكسيس كارليل) في كتابه «الإنسان ذلك المجهول»[1] «الجميع جرب أن الشباب من الجنسين ينفعلون أسرع بكثير من الأطفال الذين لا تتجاوز أعمارهم العاشرة. فكلمة واحدة أو كناية أو إشارة أو حركة تكفي لإثارة عاصفة، لمجرد أمور بسيطه تحمر ألوانهم، وتارة تصاب الفتيات في سن التكليف بأزمة الضحك التي تقترن بشحنات وأزمات عصبية شديدة، وحينما تبرز هذه الحالات فإن

---

[1] - ألكسيس كارليل «الإنسان ذلك المجهول» ص٥٦.

الاضطرابات الحاصلة لا تخل بالأعمال والحركات فحسب بل إنها تشل أيضاً النشاط الفكري والثقافي والتربوي... إن نتيجة الاضطرابات والأحاسيس المتزايدة هي نشوء سريع لردود الفعل لدى الشباب ليتسلطوا على أنفسهم ويسيطروا عليها، وكلما تعرض الشاب البالغ لهجرة ترتفع قدرة تحمله وتعظم إرادته ويمنع هذه الفترة والاهتمام بها باعتبارها أخطر مرحلة تمر على الإنسان»[1].

من هنا تعد مشكلات التربية اليوم من أهم وأفدح المشكلات الأسرية في مجتمعنا المعاصر، ففترة الشباب فترة حيوية، تلعب الميول والأهواء والرغبات فيها دوراً خطيراً ومهماً أيضاً.

وهذه الميول، تعتبر بمثابة الأعمدة المهمة للتربية الأخلاقية، والصحية، والثقافية، والدينية للشباب، على أساس أحاسيسهم وعواطفهم الكثيرة، حيث ينبع معظم النجاح أو الفشل والانتصار أو الإضعاف والإشباع أو الإحباط والتوقف أو عدمه عند الإنسان من مشاعره وأحاسيسه.

والمشكلة كما يوضحها أهل الاختصاص في الشؤون

---

(1) - ألكسيس كارليك «الإنسان ذلك المجهول» ص٥٦.

التربوية، أن تربية الشباب هي ترشيد تلك الأهواء والأحاسيس وسوقها في طريق الأمان، حيث إذا لم يجد الشاب أو الفتاة المعلم الكفؤ، القادر على تعديل الميول العاطفية وتنظيمها بمخطط دقيق ومبرمج، فسوف يؤول أمرهما إلى الضياع والشتات، بل ربما يتحولان إلى معقل للجرائم والمنكرات والفساد، لأن الميول والأحاسيس عامل قوي في حياة الإنسان.

يقول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): وكم من عقلٍ أسيرٍ عن هوىً أمير.

ومن الأحاديث التي يبرز فيها هذا المعنى أيضاً، حديث(القصعة) وحديث(ضياع العلم) وحديث(الاتّباع).

إن الأمة الإسلامية إذا لم تستثمر الطاقات الفعالة في حياة شبابها وشاباتها سوف يؤول أمرهم إلى اتّباع الشهوات والملذات والأهواء ومقارفة الفساد والانحراف بأنواعه.

وقد ثبت علمياً عبر الاستقراء للحوادث والجرائم التي تحدث في العالم، أن السبب الرئيسي لتلك الحوادث انبعاث تلك الأحاسيس والميول الغير طبيعية في حياة الشاب فتحوله إلى مجرم. كما أن أغلب المجرمين أقدموا على اقتراف الجرائم والمنكرات بسبب استثمار الأحاسيس والميول في الأمور الشريرة عن طريق المربي، ولذلك ترى التغيير الواضح تجاه ارتكاب الجرائم المختلفة.

تقول بعض الدراسات: «بين أربعة مجرمين يمكن أن تختلف دوافع ارتكاب الجريمة، فأحدهم يقدم على القتل انتقاماً من غريمه، وآخر يقضي على أحد أقاربه كان يمنعه من الوصول إلى الإرث، وثالث امرأة على سبيل المثال تخنق وليدها، ورابع يسطو على مترل شيخ طاعن يقتله ليسرق ما في مترله.. فلكل مجرم محرك ودافع خاص يدفعه نحو جريمته، وهذا الدافع لم يوجد إلا من الأحاسيس والميول المتواجدة عند المجرم»[1].

من هنا لا بد أن يهتم المربي ويعتني ببعض القواعد المهمة التي تقود أسرته ومجتمعه نحو الأفضل، ومنها على سبيل الإيجاز:

١- اغتنام العواطف والأهواء للصالح العام:

لو رجعنا إلى السجلات الأسرية التربوية الناجحة، لرأينا أن السر الذي يكمن وراء نجاحها هو اغتنام الميول والعواطف والأهواء في حياة الشاب والفتاة.

ومن أهم القواعد الأولى التي يمكن من خلالها أن يحظى الإنسان المسلم بتشكيل أسرة مثالية في حياته، أن يستثمر عوامل الميول والأحاسيس والعواطف في حياة المراهق الأسري. وحتى يتم استثمارها تماماً ينبغي علينا أن نبدأ بالقاعدة الثانية وهي:

---

[1] - دراسات عن علم الجنايات، ص١٦.

٢- بمكافحة الأخلاق الذميمة:

في الحقيقة ثمة مسافة شاسعة بين التعاليم الإسلامية وبين واقع المسلم المعاصر، فالمسلم الحقيقي هو الذي يكيف نفسه وواقعه حسب المفاهيم والنظم الإسلامية، وليس بمسلم حقيقي ذلك الذي يحاول تكييف الدين وتعاليمه الحقة وأخلاقه المثالية وفق ما تشتهيه نفسه كما هو الحال بالنسبة للمسلم المعاصر اليوم.

ولذلك أكد الدين على ضرورة الأخلاق الإسلامية، حتى يتسنى للمسلم الانتصار على مواطن الفساد الأخلاقي في حياته الاجتماعية والأسرية على حد سواء، حيث حث الإسلام على الخلق الحسن واعتبره من أحسن الملكات ومن أصعب الأمور على النفس، إذ طيب الكلام وحسن الجوار والرفق، ومداراة الناس، وحسن العشرة.. كلها تتحمل مسؤلية جميع الصفات.

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) لأم حبيبة «إن حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة».

وجاء في حديث آخر عنه(صلى الله عليه وآله وسلم) قوله: «إن أول ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة حسن الخلق»[1].

---

[1] - (الفضيلة ج٢ ص٥٤) .

وقد اعتبرت بعض النصوص الدينية الخلق السيء ذنباً لا توبة منه، لأنه كلما خرج صاحبه من ذنب أوقعه في ذنب آخر.

من هنا أمرنا الإسلام أن نشمر عن ساعد الجد والنشاط والفاعلية وشد أواصر التعاون، في محاربة ومكافحة الأخلاق الذميمة في الأسرة والمجتمع، واعتبر الدين هذا العمل من الواجبات الدينية التي لا مفر للمسلم منها على الإطلاق، فالكل مكلف بذلك.

طرق الوقاية الأخلاقية:

لكي يستطيع الآباء والأمهات تحصين أسرهم، وإنقاذها من براثن الفساد الأخلاقي، وأن يحدثوا تغييراً جذرياً وعميقاً وواضحاً في مسيرة أسرهم ومجتمعاتهم، لا بد من معرفة بعض القواعد والمناهج والبصائر الإسلامية والسير وفقها، حتى يتسنى لنا الإصلاح الجذري لهذه المشكلة المتعددة الأطراف العميقة الجذور، وإلا لن نستطيع أن نحصل على أسرة مثالية في حياتنا.

لقد حاول الكثيرون من الناس من أبناء مجتمعنا الإسلامي، إصلاح أسرهم ولكنهم فشلوا منذ أول خطوة وفي بداية الطريق، و لم يستطيعوا أن يصنعوا انعطافة تغييرية في حياة أسرهم ومجتمعاتهم.

لماذا؟.

لأنهم لم يعرفوا أين يكمن الداء؟!

فالبعض منهم كان يعتقد أن المشكلة تتجسد في توفر المال، وآخر كان يعتقد أن الإعلام هو السبب الوحيد لهذه المشكلة، وثالث يتصور أن الفراغ سبب من الأسباب و.. وهكذا توالت المحاولات دون جدوى، وكما يقال(لقد صبوا الزيت على النار) دون فائدة مرجوة.

إذن: فعلينا أن نتعرف على بعض القواعد المهمة التي تساعدنا في نجاح العملية التربوية الأخلاقية في الأسرة والمجتمع، فقد أكد علماء النفس والتربية والأخلاق على هذه العلاجات، حيث لا تتم عملية الإصلاح الأخلاقي في الأسرة والمجتمع إلا بها وهي كما يلي:

أولاً: معرفة المريض بوجود المرض:

أن نوضح له أنك مريض أخلاقياً، وبك بعض الصفات الذميمة التي لا تتناسب مع وضعك الأسري والاجتماعي، وينبغي لك أن تبادر إلى علاجها وحلها فوراً، حتى تحصل على متطلبات الحياة السعيدة، ينبغي مخاطبته هكذا:

واعلم يا بني: ليس بالإنسان الواعي الصالح المؤمن من

تتوفر فيه الصفات المنفرة للطباع.. وديننا الإسلامي وأقوال رسولنا الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) وسيرة السلف الصالح تنهى عنها على الإطلاق..

وهذه الطريقة أيها الآباء والأمهات تعتمد على أسلوبكم الجذاب مع الأبناء، لأن حياة الأبناء ولا سيما الأطفال منهم مليئة بالأخطار، منهم من يخطيء في كلامه ومشيه، وأكله، وتصرفاته و...و.. الخ. والسبب ليس لأنهم لم يتعلموا بعد الأشياء والأمور جيداً.لا وإنما بسبب الأسلوب غير السليم في توجيههم إليها. ومن الفوادح الكبرى لدى الآباء والأمهات أن يظنوا بأن أخطاء أبنائهم غير قابلة للإصلاح.

عندها يجنون أسوأ النتائج التي تجعل الأبناء أكثر تمسكاً بها وامتناعاً عن تركها، وهذا فهم خاطئ، إذ أن الإنسان قابل للتغيير في أي وقت ومن أي أحد، ولكن بأسلوب حسن وموعظة مؤثرة وجذابة ومعرفة نوعية المرض في المريض.

وهذا ما يجب الانتباه إليه والحذر من الوقوع فيه.

وإليك بعض الدروس والنماذج المساعدة على فهم هذه الحقيقة:

١- ذات يوم، رأى الحسنان رجلاً كبيراً في السن يتوضأ بطريقة خاطئة، وكانا صغيرين في السن فجاءا إليه قائلين:

يا عم هل لك أن تخبرنا أي منا وضوؤه الأصح؟

وبدءا يتوضآن أمام الرجل فلما انتهيا قال: وضوؤكما هو الصحيح، ووضوئي أنا الخطأ.

وبهذه الطريقة المهذبة انتبه الرجل إلى خطئه واقتنع بما صنعه الحسنان.

٢- وينقل بعض الأساتذة أنه كان أحد مُدراء مصانع الصلب يشرف عليها، فوقع بصره على بعض العاملين وهم يدخنون، وفوق رؤوسهم مباشرة لافتة تحمل هذه العبارة (التدخين ممنوع) فهل أشار إلى اللافتة وعنف عماله؟ كلا بل سار إلى العاملين وناول كلاً منهم سيجاراً فاخراً وقال: سأقدر لكم صنيعكم، أيها الرفاق، لو دخنتم هذا السيجار في الردفة الخارجية، وقد عرفوا حالاً ما يرمي إليه، فأكبروا فيه امتناعه عن لومهم، وكان هذا الأسلوب كفيلاً بأن يحترموه ويقدروه.

وصدق الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) حينما قال: (ما وقع اللِّين على شيء إلا زانه، وما رفع عن شيء إلا شانه).

ثانياً- معرفة منشأ المرض ووضع العلاج المناسب:

كثيرون هم الذين لا يعرفون أمراضهم، ويستمرون علىالأخطاء الجسيمة والأمراض الأخلاقية والثقافية والدينية،

وهم بعد لم يعرفوا أسباب المرض ومنشأه ودوافعه. وقديماً قالوا (معرفة الداء نصف الدواء).

إذا عرف الآباء والأمهات منشأ الأمراض الأخلاقية في حياة أبنائهم، عندها يستطيعون أن يحدثوا تغييراً جذرياً أخلاقياً، وثقافياً، وتربوياً، في مسيرة أبنائهم، وإلا فلا.. وعندها سوف تكون محولاتهم العلاجية عبثاً ووبالاً عليهم وعلى أسرهم ومجتمعهم ولن يصلوا إلى نتيجة مثمرة في عملية التغيير والإصلاح والتربية.

يقول الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) «من لم يعرف داءه، أفسد دواءه».

ولذلك نرى بعض الأمهات والآباء يلجؤون إلى عملية الضرب والسباب والشتم كعلاج لبعض مشكلاتهم الأخلاقية في الأسرة، حيث تكون النتيجة سلبية مئة بالمئة، لأن الفتاة والشاب حينما يتعرضان لعملية الضرب، ينظران الى اليد التي تبطش هما وتضرهما، واللسان الذي ينهال عليهما بالسباب والكلمات البذيئة، لا على أها يد رحمة وتوجيه إلى الخير، وانما يرياها يد قسوة وانتقام لا تحب لهما الخير إطلاقاً، وعندها يزيد معدل التعنت والعناد والمشاكسة والانحراف الأخلاقي في سلوكياتهم داخل الأسرة ووسط المجتمع.

لابد للمربي ــــ الأب والأم مثلاً ــــ أن يبدأ بــإصلاح نفسه أولاً ثم يسعى بعد ذلك إلى إصلاح الآخرين، حيث يقــوم بنشر الصلاح والفضيلة والمحبة في الأرض، إذ أن فريضة الأمــــر بالمعروف والنهي عن المنكر تعد بمثابة قانون وقائي، وقد عــــهد الإسلام بهذه المهمة الاجتماعية الخطيرة إلى المســـلمين جميعــاً: **{والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بـــالمعروف وينهون عن المنكر}**[1].

وعن علي(ع) عن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: مـن كمال السعادة السعي في إصلاح الجمهور.

وإذا وجد في مجتمع من المجتمعات صنف مـــن المعـــاندين الذين لا يسمعون الموعظة والتوجيـــه ولا يســتجيبون لدعـــاة الإصلاح، حتى أصبحوا شبه ميؤوس منهم تماماً، ينبغي هنا علــى الآباء والأمهات الالتفات والحرص الشديدان علـــى إ صـــلاح وتحصين أسرهم من ذلك المجتمع وتلك الشرذمة المراهقة المريضـة يقول تعالى **{يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً}**[2].

وعن أبي بصير قال: سألت الصادق(ع) عن تفسير هـــذه الآية، قلت له: هذه نفسي أقيها، فكيف أقي أهلي؟.

---

(1) - سورة التوبة - ٧١.

(2) - سورة التحريم -٦.

قال: «تأمرهم بما أمرهم الله به، وتنهاهم عما نهاهم الله عنه».

الأبوان المؤمنان اللذان يحسان بالخطر يتهدد أبناءهما ويعرضهم للتعاسة والسقوط في حمأة الرذيلة والفساد الأخلاقي، ينبغي عليهما أن يُبادرا إلى هداية أبنائهما إلى طريق الصراط المستقيم، ويذكروهم بالواجبات الإسلامية وبأوامر الله ونواهيه، ويحذروهم من مغبة ارتكاب المعصية والفجور، ولا يتم ذلك إلا باتباع قواعد التربية الإسلامية الصحيحة، والسير وفق مناهج الوقاية والمكافحة الأخلاقية.

وقليل من الناس الذين نجحوا في تربيتهم لأسرهم عبر هذا المنهج، لأنهم عرفوا متى يستخدمون عامل الضرب؟ ومتى يستخدمون عامل اللين؟ وإلا فالدراسات تؤكد أن عامل الضرب لا يكون علاجاً شافياً، في كل الأحاين ومع كل صنف من الأبناء.

وقد كان لي قديماً صديق يسهر على توجيه الأمة وإرشاد الناس، فأخبرني أنه كان في بعض الدول الإسلامية، وكان أحد الآباء يمسك بتلابيب ابنه، وقد أشبعه ضرباً باليمين و لم يتركه حتى تدخل بعض الحاضرين وأنقذ الولد.

وبعد أن هدأت فورة الأب، قلت له سائلاً:

لماذا كل هذا الضرب؟

قال: لأن ولدي اعتدى على أحد الرجال.

قلت: ولماذا اعتدى؟

قال باقتضاب: لأنه شيطان !!

قلت بعد أن اعتذرت له عن توالي الأسئلة:

وما هو السبب الذي جعل منه شيطاناً؟

ثم أضفت قائلاً بصراحة بعد أن صمت الأب حائراً:

في تصوري أن السبب يرجع إلى التقصير في التربية.... أليس كذلك؟

ـــ قال: لا والله، لقد كنت أضربه كثيراً ومنذ صغره، لكنه كان يزداد سوءً يوماً بعد يوم.

ثالثاً: أن يمتلك المريض الأخلاقي العزم على العلاج:

يرجح بعض الباحثين النفسانيين، أن نسبة العلاجات الشافية في المصابين أخلاقياً، تعود لإصرارهم على تخطي العقبات الكؤودة لمرضهم الأخلاقي والنفسي معاً. ويعود ذلك أيضاً لاستمرارهم في تلقي العلاجات المتواصلة، وامتلاك الإرادة والعزم على مكافحة الأمراض الأخلاقية الذميمة لديهم، وبهذا استطاعت شريحة كبرى من المصابين التغلب على الأمراض الأخلاقية في

حياتهم الأسرية.

ويرجح بعض الباحثين: أن عامل التشجيع له الأثر الكبير في مرحلة المكافحة الأخلاقية في الأسرة والمجتمع، بل هي من القواعد الأساسية لأنها (بمثابة الزيت للماكنة، والوقود للطائرة) فلولا التشجيع لما حلق الكثيرون في سماء الأخلاق والعلم والفضيلة.

حدثني بعض العلماء بقصة جديرة بالسرد هنا لأن لها اتصالاً بالموضوع. يقول: لا أتذكر أنني أخطأت في خطبة واحدة من خطاباتي، ولا أتذكر أنني تلكأت، أو تراجعت، أو نسيت ما أريد ذكره، ولا أتذكر أني تهيبت المنبر في أي يوم قط..

والسبب في ذلك يعود إلى عامل التشجيع الذي تلقيته منذ أربعين سنة تقريباً، فقد حدث أن مجلساً انعقد في بيتنا العائلي، ودعي للمحاضرة فيه أحد رجال العلم والفضيلة المعروفين بالتقوى والإيمان.. إلا أنه تأخر عن الموعد المحدد، وكنت أنا قد حفظت قصيدة شعرية، فارتقيت المنبر وبدأت أقرؤها بيتاً بيتاً، وكان في المجلس أحد العلماء الكبار، وكلما قرأت بيتاً من القصيدة رفع رأسه ويقول لي: أحسنت... ولم أكن أتوقع في ذلك الوقت هذه الكلمة على الإطلاق.. لقد مضى على هذه الحادثة ما يقارب أربعين عاماً وهي تأخذ مني مأخذها إلى هذا

اليوم؟.

نعم: إن عامل التشجيع انعطافة كبرى في حياة المريض الأخلاقي والاجتماعي والثقافي والديني.

رابعاً: المباشرة الفعالة في تلقي العلاجات الأخلاقية:

لا ينبغي من الآباء والأمهات التثاقل عن تأدية العلاجات المناسبة لأبنائهم المرضى أخلاقياً، بل ينبغي المبادرة الفورية والاستمرارية، فالتأخير ليس في صالح الأسرة والمجتمع، فمثلما أن الشفاء من الأمراض الجسمية يتطلب المسارعة الفورية والمباشرة للمريض المصاب، وتجهيز الأدوية اللاّزمة، والقيام بالعمليات المستعجلة، والوقاية من بعض الأطعمة والمشروبات المضرة.. كل ذلك سبب للشفاء العاجل للمريض.

لذلك لا يحبذ الانتظار حتى يكبر الولد أو الفتاة ويتعلم عندها الدروس الأخلاقية المناسبة في وقتها، بل ينبغي أن يعلم الآباء والأمهات أن كل حركة، وكل كلمة، تصدر منهما أمام الأبناء يبقى أثرها في ذاكرتهم.

جاء في وصية لعلي(ع) يقول: «بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئة».

ولكي لا يسبقنا أحد إلى زرع بذوره الفاسدة وأفكاره

الهدامة، وثقافته المسمومة، ينبغي أن نبادر نحن إليهم ونهتم بهم ونعلمهم قبل أن يعلمهم غيرنا.

خامساً: مراعاة ضرورة الترفيه الأسري:

يعتبر الترفيه عاملاً قوياً في سعادة الإنسان، وعلى الأسرة الالتزام بقواعد مراعاة الأحاسيس والمشاعر الجياشة التي تنبعث من نفوس الأطفال والمراهقين على حد سواء، وفترات الترفيه هذه فطرية المنشأ إذ أن نفس الإنسان تحتاج إلى ساعات من الترفيه عنها بالضحك أو الألعاب المسلية أو الفكرية أو التمعن والتدبر في الكون والطبيعة والمخلوقات.. لذلك ترى كتب التاريخ مشحونة بأخبار المجالس التي قضى الأوائل فيها ترفيههم الفكري والنفسي، وما الكتب الأدبية والتاريخية والقصصية إلا من هذا القبيل.

وفي تصوري أن كتاب قصة(فيروز شاه ابن الملك سهراب) و (ألف ليلة وليلة) و(قصة عنتره) كانت فاكهة أندية القصاصين والأدباء في ذلك العصر، إذ هي قصص من أعجب ما يروى وأبدع ما يذكر. فقد كتبت في بطون الكتب وحفظتها صدور الرجال، وتداولتها ألسن الشعراء والأدباء والقصاصين.

وكذلك كتاب(الأغاني) بحوادثه وقصصه وتراجمه وما هو

إلانتاج المجالس والمناظرات والمحاورات الأدبية أعدهـا وجمعـها الأصفهاني في الكتاب، بعدما سكب من عمره خمسين عاماً دائبـاً في تدوينها. وكذلك كتاب (زهر الربيع) الذي جـاء نتيجـة طبيعية لما يعيشه الناس في ذلك الوقت من الروتين القاتل، وقـد أشار مؤلفه في المقدمة إلى ذلك الوضع بقوله: «ما أقدمت علـى هذا المصنف إلا لأنني أردت أن أروح عن النفس التي اعتـادت على الأعمال الروتينية القاتلة وللحديث القائل «إن هذه القلـوب تمل فابتغوا لها طرائف الحكم».

إلى غيرها من الكتب والموضوعات الكثيرة، لأن الترفيـه الفكري والنفسي ضرورة لا بد منها، تمارسها الحياة الطفوليـة على شكل ألعاب، وتتخلق في الكبر بأشكال مختلفة في جوانـح النفس وشوارد الفكر مما يبسطها ويثير نشاطها ويزيد حيويتـها مجدداً. يقول الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) : «السرور يبسط النفس ويثير النشاط».

النتائج المرجوة من الترفيه:

لكل عمل من الأعمال سلبياته وإيجابياته، لكـن بعضـها ترجح سلبياها على إيجابياها، والبعض الآخر إيجابياها أكثر مـن سلبياها، وكما أن الترفيه خاضع للجوانب المالية المفروضـة في

كثير من الأحيان، وجوانب الهوى أيضاً إلا أنه إيجابي جداً، وله الأثر الواضح على حياة أفراد الأسرة في التربية الحالية والمستقبلية أيضاً، فقد يرفع الترفيه الملل الذي يحدث من جراء ممارسة الأعمال الكثيرة والروتينية التي اعتاد الإنسان عليها خلال اليوم والأسبوع والسنة.. فكم يقضي الإنسان بين المطالعات والأشياء وحرث الأرض وتعقيب المعاملات وإصلاح الأرض والطبيعة ومقابلات الأهل والأصدقاء.. و.. الخ مما اعتاد عليه الجميع من الناس حيث يترك هذا الروتين أثره الواضح على حياة الفرد والأسرة والمجتمع، لذلك تقل حركة العامل فيه كثيراً ويحتاج عندها إلى فترة زمنية يقضيها ترويحاً عن النفس، حتى يستعيد فيها نشاطه وأعماله بحيوية ونشاط متزايدين. يقول الإمام علي(ع) «لكل عضو من البدن استراحة».

وأكّد على هذه الحقيقة بعض المتخصصين بقوله: يحتاج الإنسان لفترة زمنية يريح فيها نفسه وأعصابه من جراء الالتزامات الكثيرة التي تسبب له الروتين القاتل، ووسائل اللهو المختلفة هي بمثابة أدوات لتحرير وتخليص المشاعر المضغوطة والفرار من حقائق الحياة المرة، وكما يذكر(كيميال يانج) في كتابه الخاص بعلم الاجتماع فإن هذه الوسائل تسمح للأفراد بالتخلص لعدة ساعات من التزامهم كآباء أو قادة مجتمع

والابتعاد عن القلق والاضطراب بالدخول في عالم أحلام مصطنع، ولهذا ينصرفون لمشاهدة المناظر المضحكة ويتقاطرون على المناطق المسلية...

وقرأت في بعض المجلات العربية: أن عامل الترفيه أصبح علاجاً نافعاً لكثير من الأمراض المختلفة، وخصوصاً أمراض المراهقة لدى الشباب والفتيات، مما ساعد على الحد من انتشار الجريمة والفساد في المجتمع. ولذا فتحت أكثر الدول الغربية والعربية على حد سواء، أبواب إنشاء النوادي الشبابية وتكثير الأنشطة الرياضية والثقافية وإيجاد أماكن الترفيه في كل منطقة من المناطق، حتى يتسنى لهم القضاء على بواعث الفساد الأخلاقي في حياة المراهق.

«لوحظ أن المنحرفين في مدينة شيكاغو الذين لم تتح لهم فرصة الاستكمال والاستفادة من أوقات الترفيه، تزايد ارتفاع معدل الجريمة والأمراض النفسية، ما يزيد على (٧٠%) من الحالات وبصفة متكررة في بعض المدن الأخرى في الولايات المتحدة الأمريكية، بينما قد تصل نسبة الجرائم والفساد والانحراف في بعضها إلى(٣٠ في المائة) فقط من هؤلاء الذين

أتيحت لهم فرصة الترفيه..)[1].

وأجمع أطباء علم النفس أن (الترفيه) واستثمار أوقاته عنصر مهم لنجاح الأسرة والمجتمع في الحياة الاستخلافية للإنسان في العالم الأرضي، حيث بهذا العامل يكتشف الآباء والأمهات القدرات الخارقة لأطفالهم وأبنائهم، وتقوية أجسامهم وعقولهم وتوسيع مداركهم بالتعرف على عالم(الترفيه) .

السفر والسياحة مهمان للأسرة:

حث الإسلام على هذا العامل، لما له من ثمرة عملية على علاقة أفراد الأسرة مع بعضهم البعض، وتغير نمط التفكير عند المراهقين والأبناء الصغار أيضاً، لما يترك (السفر والسياحة) من الأثر الواضح بأحداثه المختلفة السليمة منها والإيجابية في عقلية الأبناء ومسيرة حياتهم وتجاربهم المستقبلية. لذلك اعتبره الدين الإسلامي واحداً من وسائل الترويح عن النفس والعقل للفرد والأسرة والمجتمع، شريطة أن لا يكون سفرهم وسياحتهم للمعصية ومساندة الفساد والإفساد في الأرض. قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) «سافروا تصحوا» أي صحة عقلية وفكرية وجسمية كما أثبتت ذلك التجارب العلمية والعملية معاً.

---

(1) -(راجع الموسوعة الطبية ١٦. محمد رفعت) .

وجاء في الديوان المنسوب للإمام علي(ع) توضيح لفوائد السفر والسياحة بقوله:

تغرب عن الأوطان في طلب العلى
وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفريج هم واكتساب معيشة
وعلم وآداب وصحبة ماجد

كما يساعد السفر على تنقية الأجواء وإصلاح العلاقات الأسرية، ويزيد شد أواصر المحبة والأخوة بين الناس.. فكم أسوة سافرت وعادت بزيادة المعلومات والتعرف على معالم الحياة والطبيعة والإنسان، والتقاليد والعادات والمفاهيم والثقافات والمذاهب والأديان. حيث كان سائداً منذ القدم موضوع تغيير الماء والهواء بهذا الأسلوب فقد كانوا يعالجون بذلك المرضى المصابين بأمراض مزمنة لا علاج لها.

وقد أصبح السفر جزءاً من البرامج المؤكدة لدى الناس وواحداً من أهم عوامل السلامة، وبشكل عام فقد ثبت اليوم طبياً أن الروتين الذي يعتاده الإنسان سواء في طعامه أو نومه أو أعماله تؤدي به إلى الأمراض الخطيرة التي لاتحمد عقباها، ولذلك ينصح الأطباء بالذهاب إلى أماكن الترفيه والتشجيع على ممارسة الرياضة البدنية والسير على الأقدام عدة ساعات، والسياحة

والسفر تقلل عوامل الأمراض في جسم الإنسان وعقله وحياته، وربما أصبحت هذه العوامل أفضل من تناول الدواء أحياناً، كما ثبت ذلك بالدليل والبرهان العلمي.

سادساً: زرع بذور الإيمان في شخصيته:

يعتبر الإيمان عاملاً من عوامل الحياة السعيدة، في عالم البشرية، فهو سبب حقيقي لنزول خيرات السماء وتفجير ينابيع الخير من الأرض، وتعم بسببه سلامة الأرواح والأنفس أيضاً، وتنتعش الأجسام ويستتب الأمن وترسو الراحة وترفرف معالم الرفاه والمحبة في المجتمع الإسلامي، بسبب تطبيقه على الواقع المعاش، وحينما نرى شخصاً أو مجتمعاً أو أمة يسيرون نحو الهاوية والانحطاط والرذيلة والفساد الأخلاقي يجب أن نعلم علماً يقيناً أن ذلك بسبب فقداهم عامل الإيمان في حياهم العلمية والعملية..

ولما كانت الأمة الإسلامية أمة دينية وحضارية وملتزمة بنظام الإسلام وقواعد الدين والأخلاق، وكانت شعوبها شعوباً مؤمنة بكل تعاليم الإسلام والدين، كانت في نظر الغرب شبحاً مرعباً يخيفهم، وكانت الانتصارات تتلو الأخرى وكانت الخيرات تعم المعمورة والنفس لا تشتكي سقماً والأجساد لا تحتاج علاجاً، وكانت موارد الحياة الاقتصادية بأيديهم حيث كان

الواحد منهم يجري على يديه الخير للناس ونفعه المـــادي يعـــم الجميع، وكان يتمنى الواحد منهم أن يكون طعمـــة للسـيوف والرماح دفاعاً عن وطنه ودينه ومبادئه وإخوانه ومجتمعه بكل مـا أوتي من قوة مادية ومعنوية.. ولذلك وصل الإســلام والديــن والتعاليم لما وصلت إليه اليوم !.

ولكونه ضرورة في حياة البشرية أكدت عليـــه الشــريعة السمحاء في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة، وأشاد به العقلاء وأكد عليه العلماء في مصادرهم.

فهذا القرآن الكريم يزخر بعدد هائل من الآيات الكريمـــة التي تحث على التمسك به وبمعالمه واســتثماره علـــى الصعيـد الفردي والأسري والاجتماعي. يقول تعالى {**لا إكراه في الديـن قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقـد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم**}[1]

وقوله تعالى: {**وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحـات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار..**}[2].

وقوله تعالى: {**يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجـارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورســوله وتجـاهدون في**

---

(1) - سورة البقرة آية ٢٥٦.

(2) - سورة البقرة آية ٢٥.

سبيل الله..}[1].

إلى غيرها من الآيات الكثيرة التي يزخر بها القرآن الكريم.

وأما الروايات والأحاديث فهي أكثر من أن تحصى على الإطلاق. فقد روي عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) :(إن القلب ليراوح فيما بين الصدر والحنجرة، حتى يعقد على الإيمان، فإذا عقد على الإيمان قر واستقر، وذلك قوله سبحانه: **{ومن يؤمن بالله يهد قلبه}**[2].

وعن عبد العزيز القراطيسي: قال لي أبو عبد الله(ع) عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): (إن الإيمان عشر درجات بمترلة السلم يصعد منه مرقاة فلا يقولن صاحب الواحد لصاحب الاثنين لست على شيء ولو انتهى إلى العاشرة) [3].

ما هو المقياس الواقعي:

(تحت هذا العنوان أشاد الإمام الشيخ جعفر بن المقدس الشيخ محمد أبو المكارم(قدس)[4] في بعض مصنفاته القيمة، أن

---

[1] - سورة البقرة آية ٩٤.

[2] - البحار ج٥٥ ص٦٤.

[3] - البحار ج٢٢ ص٣٥..

[4] - هو الإمام الشيخ جعفر بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله آل أبي المكارم العوامي ، ولد في العوامية عام ١٢٨١هـ ونشأ في ظل أبيه الفقيه النحرير الشيخ

الإيمان جزء هام في حياة الإنسان المسلم، فبدونـــه يتحـــول إلى هيكل خارج عن محتواه الواقعي، مثله مثل الحيوان الذي يســـعى لإشباع غرائزه وشهواته ولذاته.. والإنسان ليس جسداً بمقدار ما هو روح وقيم وتعاليم ومبادئ وإيمان، وعقيدة متمثلة في مظـــهر الإنسان الخارجي على الساحة العلمية والعملية له.

ويؤكد على الإيمان الثابت أكثر من غيره باعتباره منـــهج الإنسان المؤمن، الذي يمنحه الحصانة الفكريـــة مـــن الضيـــاع والتشتت والانهزام أمام المشكلات والفوادح والعواصف الكثـيرة، لأنه نابع من العقل والوجدان والتدبر والتجربة الطويلة.

وينبذ الإيمان المستودع، لأنه نابع مـــن وحـــي الشـــهوات والأهواء، ولذلك تراه لا يستقر في روحه أبداً، باعتباره جاء عـــن

محمد وتلقى التربية الدينية والعلمية على يده وعلى يد جماعة من علمـــاء المنطقـــة في ذلك الوقت ، إلى أن رحل إلى النجف الأشرف واستقر بها طالباً العلم مـــا يقـــارب خمسة عشر سنة ، ومن ثم عاد إلى وطنه وهو مجاز من قبل جهابذة الدين والعلم، لـــه كثير من المصنفات وهي تربو على ثمانية وأربعين مصنفاً في مختلف العلوم والفنـــون ، كما أنه من أهل الورع والتقوى والزهد والعبادة والكرامات ، تـــوفي في البحريـــن مسموماً في المستشفى الأمريكي ودفن بجانب قبر الفيلسوف الشيخ ميثـــم البحريـــني بوصية سابقة منه ، سنة ١٣٤١هـ. وقد ترجمت له ترجمة اضافية في كتابي أعـــداء الأمة ودعاتها وكتاب العوامية مجد وحضارة كما خصصت له كتاباً خاصـــاً بـــه في سلسلة مشاهير بلادي فراجع.

تقليد واتّباع، ويؤكد(قدس) أن كل شيء يصدر عن الإيمان المستودع لا يصمد أمام مشكلة صغيرة فضلاً عن الكبيرة، وتراه أيضاً أمام العراقيل ينهزم وأمام الشبهات ينبهت ويندحر.. بينما الإيمان المستقر الثابت يصمد أمام الشبهات والمناظرات والتحديات الدينية والسياسية والتربوية والاقتصادية والثقافية وغيرها.

يقول في هذا النص: فمن أراد الله سبحانه توفيقه وأن يكون إيمانه مستقراً ثابتاً سبب له الأسباب التي تودي به إلى أخذ دينه من كتاب الله سبحانه وسنة رسوله(صلى الله عليه وآله وسلم) بعلم ويقين وبصيرة، فإذا الإنسان يكون أثبت في دينه من الجبال الرواسي، وتزول الجبال وهو لا يزول على الإطلاق.. ومن أراد الله سبحانه خذلانه وأن يكون إيمانه معاراً مستودعاً سبب له الأسباب والتقليد من غير علم وبصيرة، فهو في التيه، وإن جذبه السير جذباً لا يزيده كثرة السير إلا بعداً، وكلما رأى كبيراً من الكبراء مال إليه، وكلما رأى فكرة تعلق بها، وكلما رأى شيئاً استحسن ظاهره[1].

لذلك ترى التأكيد التام من الشارع المقدس على أهمية الإيمان المستقر، والسير وفق منهجه وتعاليمه الحقة حتى يصل

---

[1] - راجع (ملتقى البحرين ص٩٣ مخطوط) .

الإنسان إلى سلم الكمالات الحقيقية، وحث الآباء والأمهات على تلقيه كمنهج تربوي في تربية أبنائهم، وأكد الشارع المقدس عليهم أن يغرسوا في نفوسهم بذوره الطيبة، حتى يحصلوا على أبناء صالحين إن شاء الله تعالى. ومن أهم الأمور التي ينبغي مراعاتها أن يفهم الآباء والأمهات أن الإيمان حركة يومية يمارسها الإنسان في أسرته ومجتمعه على الصعيد الفردي والأسري والاجتماعي على حد سواء، وليس الإيمان قوة أو حالة تمارس في زمان معين أو وقت معين ثم تمضي وتتلاشى مع الأيام والسنون، أو تمارس في مكان دون مكان، أو أمام شريحة بسيطة دون أخرى، كما هو حال أكثر الناس في هذا العصر المشؤوم. حيث تراه يكون مؤمناً داخل المسجد أو الحسينية أو أمام الآخرين، بينما في داخله شر كبير، وقلبه مليء بالأمراض الأخلاقية والدينية والأفكار الخرافية والفاسدة، وإذا اختلى بنفسه فهو شيطان وحيوان في التفكير والتطبيق.

ينبغي أن يفهم الآباء والأمهات أن الإيمان عقيدة وعمل يطبق على الواقع المعاشي للإنسان سواء في أسرته أو مجتمعه أو أمته، وفي علانيته وسره، بين الناس أو خلفهم، بمعنى آخر ينبغي أن يكونْ(ظاهره كباطنه) تماماً وهذه التربية لا يحصل عليها الشاب والفتاة إلا إذا ساعدهما على ذلك الآباء والأمهات.

يقول الحديث المروي عنه(صلى الله عليه وآله وسلم) :(رحم الله والداً أعان ولده على بره) وفي حديث آخر(من حق الولد على والده أن يعلمه الرماية والكتابة وأن يزوجه إذا بلغ) .

من أين نبدأ:

لكي نحدث تغييراً إيمانياً عميقاً ومؤثراً داخل نفسية المراهق، ينبغي أن نتعلم الطرق والأساليب والأوقات المناسبة، التي ننفذ منها إلى أعماق المراهق ونغيره جذرياً ونستثمر عواطفه وأحاسيسه وميوله الجياشة نحو الصالح العام.. ففترة الطفولة هي فترة التكوين، ويمكن اعتبارها من ناحية الأهمية أهم فترات الحيلة لأن الإنسان فيها يكون صاحب أرضية خصبة ونظيفة فكرياً وثقافياً ودينياً وتربوياً وما أشبه ذلك.

والطفل في بداية حياته الطفولية الأولى أشبه شيء بالأرض الصالحة للعمران، وكالعجينة بين يدي الخباز كما قال الحديث الشريف عنه(صلى الله عليه وآله وسلم) :(قلب الحدث كالأرض الصالحة للزراعة) .

إذا حصل على من يعينه ويعتني به، ويهتم بمتطلباته وحاجياته المادية والمعنوية ويستثمر أهواءه وأحاسيسه وعواطفه لصالحه أولاً وصالح مجتمعه ثانياً، فسوف يحصل على متطلبات

السعادة الدنيوية والأخروية، وينعم المجتمع والأسرة بفرد قادر على إصلاح نفسه وإصلاح غيره، ويأخذ بيد الآخرين لما فيه صلاحهم ونجاحهم إن شاء الله تعالى، ويظل في المجتمع نموذجاً ومثالاً وقدوة للآخرين.

وقد أكد هذه الحقيقة كبار علماء التربية في العالم الإسلامي والعالم الغربي، يقول موريس دنس: وقفت قبل حرب ١٩٣٩ - ١٩٤٥ إلى جانب الاعتقاد القائل بأن الشاب هو أحد القيم المهمة وعلينا أن نأخذ دروساً نافعة من هذه المدرسة، وقد رسخت الأحداث اللاحقة إيماني بهذا الموضوع، ولكن يجب الانتباه إلى أن الشاب ليس هو القيمة الموجودة الوحيدة، فللبعض يسلك سبيل المبالغة في الثناء على حيوية الشباب واندفاعهم، ويعتقد أن هذا الاندفاع يسمو إلى غاية الكمال، والكمال المطلوب هو أن نستثمر هذه الطاقة وتلك الأمكانيات إلى صالحه وصالح المجتمع... وخطورة الموقف تكمن في الغفلة عن نقائصها عند مشاهدة إيجابيات، لأن الرغبة في الأمور المطلقة ليس أمراً مطلقاً بذاته، فضلاً عن ذلك لو أردنا المبالغة ووصف أعمال الشاب بالمعجزة، فسوف لا يمر وقت طويل حتى تظهر على الشاب روح الغرور والأنانية والتفاخر والوقاحة.. لا ننسى أن

مرحلة الشباب مرحلة خطيرة لها إيجابياتها وسلبياتها أيضاً[1].

ولو تمعنا قليلاً في سيرة المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت(ع) وسيرة الأصحاب الميامين(رض) لوجدنا سيرتهم العطرة تحث على هذه المرحلة، واستطاعوا خلال فترة وجيزة أن يحدثوا تغييراً واضحاً في عقلية الشباب المراهقين، واستثمروا عواطفهم وأحاسيسهم للصالح الفردي والاجتماعي، وقد سلم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) بعض المناصب للشباب خذ على سبيل المثال لا الحصر:

ـــ مصعب بن عمير نموذجاً:

كان مصعب بن عمير أحد الصحابة قد أسلم قبل الهجرة وكان جميلاً جداً وعفيفاً وعالي الهمة والإرادة، محبوباً من الجميع ولا سيما أهل مكة، وكان يرتدي أفخر الثياب ويعيش حياة مترفة ومرفهة، إلى أن التحق بركب الإسلام، وكان مولعاً بالمناهج السليمة والأخلاقية في النظام الإسلامي الحنيف، فانجذب انجذاباً لا حدود له على الإطلاق، فدخل في الدين عن قناعة تامة به، وكان ذلك بعد سماعه الأحاديث المشوقة للجنة وما فيها والآيات الكريمة التي كان يلقيها النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على

---

[1] - (راجع كتاب البلوغ ص١٢٧) .

مسامع المسلمين.

وبعد أن دخل في الإسلام كان يؤدي عباداته وواجباته الدينية خفية عن أهله ومجتمعه، إلى أن رآه عثمان بن طلحة قائماً يصلي فعرف منذ ذلك الوقت أنه دخل في الإسلام، وأخبر بذلك أمه وأهله، ولم تمض فترة وجيزة على سماع هذا الخبر المؤلم بالنسبة إليها وإليهم فتأثرت أمه وأهله وسجنوه في غرفة صغيرة بأمل أن يعود عن عقيدته الجديدة.. لكن كان هذا العقاب وتلك التصرفات تزيد من عزمه وتمسكه وثباته على الدين الإسلامي الحنيف لأنه دخله عن قناعة تامة به وبرسوله(صلى الله عليه وآله وسلم) وبمناهجه الوضاءة.

مصعب ونشر المبادئ:

تلقى مصعب تهذيبه وتعليمه وأخلاقه في ظل الإسلام والنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) والأصحاب(رض) وأخذ ينشر الدين سراً، وبعد ذلك كان يحضر مجالس المشركين والشاكين لدحض حجتهم الواهية إلى أن أسلم على يديه شريحة كبيرة، ولشدة وثوق النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) به كان يبعثه إلى نواحي الدولة الإسلامية يدعوهم إلى الإسلام والقرآن، وقد نقل أهل السير في مصادرهم: أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بعثه كداعية إلى المدينة

المنورة. روى ابن إسحاق عن عبد الله بن المغيرة بن شعبة: أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد بني عبد الأشهل ودار بني ظفر، وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس ابن خالة أسعد بن زرارة.. فجلسا في حائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلموا، وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لأسيد بن حضير: لا أب لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارنا ليفهما ضعفاءنا فازجرهما.. ولو لا أن أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي، ولا أجد عليه مقدماً. فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير: هذا سيد قومه قد جاءك، فاصدق الله فيه.

قال مصعب: إن يجلس أكلمه.

فوقف عليهما متشتماً، فقال: ما جاء بكما إلينا، تفهمان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة.

فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره؟.

قال: أنصفت، ثم ركز حربته وجلس إليهما فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن. فقالا فيما يذكر عنهما:

والله لقد عرفنا في وجهه الإسلام قبـــل أن يتكلـــم في إشـــراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا الكلام وأجمله، كيف تصنعـــون إذا أردتم الدخول في هذا الدين؟.

قالا له: تغتسل فتتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحـــق، فاغتسل وتطهر ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجـــلاً إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرســـله إليكمـــا الآن وهو سعد بن معاذ. ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهـــم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال: أحلـــف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلمـــا وقف على ناديهم قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين فـــو الله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما، فقالا: نفعل ما أحببت، وقـــد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلـــك أنهم قد عرفوا أنه ابن خالتك ليخبروك.

فقام سعد مغضباً مبادراً تخوفا للذي ذكر لـــه مـــن بـــني حارثة، فأخذ الحربة من يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً، ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أسيد إنمـــا أراد أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتماً، ثم قال أسعد بـــن زرارة: يا أبا أمامة: لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مـــني، وقد قال أسعد بن زرارة لمصعب بن عمير: أي مصعب جـــاءك

والله سيد من وراءه من قومه، إن تبعك لا يتخلف عنك منهم إثنان فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟

قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا دخلتم في الإسلام في هذا الدين؟.

قالا تغتسل فتطهر ثوبك وتشهد شهادة الحق، ففعل ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عامداً إلى نادي قومه ومعه أسيد بن حضير، فلما رآه قومه مقبلاً قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل كيف تعلمون أمري فيكم؟

قالوا: سيدنا، وأوصلنا براً، وأيمانا.

قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله وبرسوله.

قالا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً ومسلمة، ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زرارة، فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون.

وأخذ مصعب بعد إحراز هذا النصر العظيم يخطط

لاستقبال الرسول ويهيء العاصمة الجديدة له.

ثم خرج مصعب بن عمير من المدينة مع السبعين الذين وافوا رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) من العقبة الثانية من خارج الأوس والخزرج، ورافقه أسعد بن زرارة في سفره ذلك، فقدم مكة وأخبر الرسول بنتائج النصر العظيم، فسر الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك[1].

مصعب بن عمير بطل في بدر:

ولقد اشترك مصعب بن عمير في وقعة بدر، واشترك أخوه أيضاً في تلك الوقعة ولكنه كان في الجانب الآخر بين أعداء الإسلام والدين، ووقع أسيراً في يد الجيش الإسلامي، ووقف عليه مصعب فقال لآسره: شد يديك به، فإن أمه ذات متاع، لعلها أن تفديه منك.

فقال له أخوه: أهذه وصاتك له بي؟

فقال له مصعب: إنه أخي دونك.

فسألت أمه عن أغلى ما فدي به قرشي، فقيل لها أربعة آلاف درهم، فبعثت بها إليه فافتدته بها.

وبعد أن جهز الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) جيشه للقتال

---

(1) - (راجع سيرة بن هشام ج١ ص٤٣٧).

ووزع المقاتلين في أماكنهم سأل: من يحمل لواء المشركين؟ قيل: بنو عبد الدار. قال: نحن أحق بالوفاء منهم، أين مصعب بن عمير؟ قال: ها أنا ذا. قال: خذ اللواء، فأخذه مصعب فتقدم به بين يدي الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم).. وبدأت المعركة واستهدف أميرالمؤمنين(ع) أصحاب الراية، فقتل منهم: مسفع بن أبي طلحة ثم عثمان بن أبي طلحة ثم الحارث بن أبي طلحة ثم أبا عذير بن عثمان ثم عبد الله بن جميلة بن زهير، وقتل أيضاً من بني عبد الدار أرطأة بن شرحبيل مبارزة.. ولما قتله الإمام(ع) أبصر النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) جماعة من قريش فقال لعلي احمل عليهم فحمل عليهم ففرقهم وأبصر جماعة أخرى فقال احمل عليهم ففرقهم أيضاً فقال جبريل: يارسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) إن هذه للمواساة!

فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): إنه مني وأنا منه.

فقال جبريل: وأنا منكما.

فقال جبريل:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي.

شهادة مصعب بن عمير:

وقد استشهد مصعب بن عمير في معركة أحد، بعد أن أبلى بلاءً حسناً بين يدي رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان الذي أصابه ابن قميئة الليثي وهو يظن أنه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم)، فرجع إلى أهله يخبرهم أنه قتل محمداً(صلى الله عليه وآله وسلم).

ويقال أنه ضرب مصعب بن عمير على يده اليمنى وكان بها اللواء فقطعها وهو يقول **{وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل}** ثم حمل عليه الثانية بالرمح فأنفذه، واندق الرمح، ووقع مصعب بن عمير وسقط اللواء.

وروى ابن سعد في الطبقات الكبرى ج٣ ص١٢١ قال: فعندما قتل مصعب بن عمير يوم أحد، أخذ ملك في صورة مصعب اللواء، فجعل رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول في آخر النهار تقدم يا مصعب، فالتفت الملك فقال: لست بمصعب. فعرف رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أنه ملك أيد به.

ووقف رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) على مصعب بن عمير وهو مقتول في برده، فقال: رحمك الله لقد رأيتك بمكة وما بها أرق حلة، ولا أحسن لمة منك، ثم أنت أشعث أغبر، وأمر فقبر نزل قبره أخوه وأبو الروم، وعامر بن ربيعة العتري. والنبي(صلى الله عليه وآله وسلم) يقرأ هذه الاية **{من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه}**.

نماذج أخرى:

وإذا عدنا إلى أوراق التاريخ الإسلامي نرى أن هناك الكثير من النماذج القيادية التي خلفها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في الأمة الإسلامية في ذلك الوقت. من بين هؤلاء(عتاب بن أسيد) الذي خلفه النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) على أهل مكة بعد خروجه إلى المدينة المنورة، وهو بعد لم يتجاوز الواحد والعشرين عاماً من عمره، وأمره الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) أن يصلي بالناس، وهو أول أمير صلى بالناس بمكة بعد عام الفتح جماعة.

وقال له النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في يوم من الأيام: يا عتاب تدري على من استعملتك؟

قال: أنت أعلم يا رسول الله.

قال: استعملتك على أهل الله عز وجل، ولو أعلم لهم خيراً منك استعملته عليهم.

وكما استعمل عتاب على أهل مكة فإنه أمر أسامة بن زيد أن يكون قائداً على الجيش الإسلامي في ذلك الوقت وكان عمره في حينها ثمانية عشر سنة، إلى غيرها من النماذج الكثيرة في تاريخ الإسلام والمسلمين.

إذن: ينبغي أن نهتم بالجيل الصاعد اهتماماً كبيراً لأنه هو

عماد المستقبل الوضاء، ولا سيما على الآباء والأمهات أن يراعوا عواطف المراهق، ويستثمروها لصالحه وصالح مجتمعه حتى نستطيع أن نحصل على عالم أفضل في ظل الإسلام والدين الحنيف، وتكون أسرنا أسراً مثالية في الحياة الاجتماعية.

خطوة لا بد من مراعاتها جيداً:

ينبغي على الآباء والأمهات اغتنام الأوقات في تدريس الأبناء الدروس الإيمانية عملياً، ولاسيما ما يساعدهم في تخطي عقبات(المراهقه)، حتى إذا نزلوا إلى معترك الصراع الاجتماعي وانخرطوا مع أهله وقابلتهم مشكلاته، يكونون عندها محصنين فكرياً وثقافياً وتربوياً ودينياً وما أشبه ذلك.

وهذا لا يأتي من وحي الفراغ واللامبالاة، والنظر إلى المجتمع على أنه جنة وأهله سكانها، بل أشد وقت نخشى فيه على الأبناء هو هذا الوقت المعاصر العصيب، بعد أن تكدست على أهله الماديات والشهوات والملذات، وأصبح الآباء والأمهات في شغل عن الرعاية الأسرية، وتوفرت في مجتمعاتنا الأمور المشجعة على الانحراف الأخلاقي، بالإضافة إلى اهتمام الاعلام المرئي والمسموع بانحراف الشاب والفتاة في فترة المراهقة عن جادة الصواب، ونشر الأفكار الهدامة في صفوف الأسرة المسلمة،

وتوجيهها لقضايا المادة والموضة المنحرفة. من هنا ينبغي توجيههم إلى قراءة تاريخ العباد والزهاد والأبطال والمجاهدين والمؤمنين الذين استطاعوا أن يغيروا تاريخ مجتمعاتهم من جذورها.

مشكلة تربية الشاب المراهق:

لكي نتفادى انحراف المراهق ولا نقع في مشكلات تربوية، ينبغي مراعاة قاعدة(الاحترام) باعتبار أن الأخلاق الحسنة وطيب الكلام، وحسن الرفقة والنصح، وتبادل أطراف الحديث والاستماع له، والنقد البناء.. و.. الخ. من أهم أسباب نجاح تربية الشاب المراهق في الأسرة والمجتمع، بل اعتبره علماء التربية والنفس من أسباب تحصين الشاب والفتاة من الانحراف الأخلاقي والتمرد والعصيان.. لأن المراهق صاحب نفسية شفافة وحساسة في نفس الوقت، لدرجة لا يتصورها العقل البشري، فمجرد أن تصاب هذه النفسية وتلك الشخصية بخدوش الأخلاق السيئة والخشونة والانتقاد اللاذع في التعامل معه، سوف تتبعثر جهوده و طاقاته داخل الأسرة والمجتمع، فتكون النتيجة سلبية تماماً، إذ لا يرجى منه منفعة على الاطلاق إلا بشق الأنفس عندها.

وللأسف الشديد هناك شريحة كبرى من أبناء هذا المجتمع،

من الآباء والأمهات لايحسنون طرق التعامل مع المراهق، لذلك يفسدون أكثر مما يصلحون..

إن المراهق عزيزي الأب وعزيزتي الأم، عالم من المجاهيل والغرائب المعقدة، التي هي بحاجة لاكتشاف وتأمل عميقين، لأنه كعالم البحار الواسعة العميقة الجذور، التي لا يدرك أبعادها إلا أهل الخبرة والمعرفة بتلك الطرق والعوالم البحرية، وقدلا يصل أيضاً لمغزاه ومعالمه ويدرك أبعاده!!

وعالم المراهقة ـــ عزيزي القارىء ـــ عالم البراءة والمحبة والطاقه الكبرى في العقلية والعاطفة والتفكير والخيال. لذلك ينبغي على الآباء والأمهات استثمار هذه الطاقة وتلك الحياة المفعمة بالنشاط والحيوية لصالح الفرد، والمجتمع والأمة. حتى يتسنى لنا جميعاً الفوز بعوامل التربية الحسنة، ونحصل على عوامل الرقي والحضارة والتقدم والفضيلة.

يقول الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله وسلم) (رحم الله والدين أعانا ولدهما على برهما)[1].

كثير من الآباء والأمهات، يخطئون حينما يعتقدون أن شخصية الأطفال والمراهقين لا ينفع معها إلا طرق العنف

---

[1] - (مستدرك الوسائل ج١ ص٦٢٥).

وعدم(الاحترام) والإهمال، مع أن هذا الاعتقاد خاطىء مئة بالمئة، إذ ليس هناك شخصية استطاعت أن تحصل على متطلبات التربية السليمة، والحياة الأسرية والاجتماعية السعيدة، عن هذا الطريق على الاطلاق..

إن كل العظماء كانوا سابقاً أطفالاً، ومروا بمراحل المراهقة، لكنهم حصلوا في طفولتهم وحياتهم المراهقية على عامل(الاحترام)، واستطاعوا التقدم والنجاح في مسيرتهم العلمية والعملية في الأسرة والمجتمع، ولولا ذلك لم يصلوا إلى هذا المستوى الرفيع.

ولا شك عزيزي القارئ: كلنا مررنا بهذه المرحلة الخطيرة في حياة الإنسان، فهناك من استطاع — وعبر عوامل مختلفة — أن يستثمرها لصالحه وصالح مجتمعه، ويكون شيئاً بارزاً في الحياة، وهناك من لم تتح له الظروف الاقتصادية والعلمية والتربوية والاجتماعية تحصيل متطلبات السعادة الدنيوية في الحيلة الأرضية، وكل ذلك عائد لنوعية التربية التي تلقاها في أسرته، وما خسر أكثر الناس وفسدوا في الحياة الأرضية إلا بسبب فقدان عامل(الاحترام) وعدم التشجيع من الآباء والأمهات داخل الأسرة.

ومن المؤسف حقاً أن أقول: إنا نلمس هذه الحقيقة — عدم الاحترام للطفل المراهق — بشكل واضح وواسع النطاق في مجتمعنا المعاصر اليوم، حيث نتعامل مع (الطفل الصغير، والشاب المراهق، والفتاة المراهقة) بأساليب العنف والشتم والضرب وفقدان الاحترام والتقدير، فلا يكلم الطفل والمراهق إلا بنهر وقسوة واحتقار وسخرية على تصرفاته وسلوكياته وأعماله الكثيرة التي قد تكون مثمرة أحياناً.. لذلك ينشأ وقد تحول إلى قنبلة موقوتة، قابلة للانفجار في كل لحظة من لحظات التمرد، وتتناثر عندها شظاياها على الأسرة والمجتمع الإسلامي معاً.

نماذج واقعية من المجتمع:

١- دار في مجلس من المجالس حديث بين مجموعة من الرجال حول موضوع معين، فتكلم واحد منهم فأصغى إليه الآخرون، وهكذا تكلم الثالث والرابع والخامس..

وبعد فترة وجيزة خيم الصمت على المجلس، وأراد بعض الأطفال الجالسين الكلام لكن الحياء منعه من ذلك، وبعد جهد وصراع مع نفسه استطاع التغلب على خجله فبدأ بالكلام، لكنه يفاجأ بأن أحداً لم يصغ إليه ويستمع لما يقوله، فالتفت إليه بعض

الحاضرين وانهال عليه سخرية وسباباً، ووقف والده وانهال عليه بالضرب المبرح أمام الحضور ! عندها أطرق برأسه إلى الأرض وهو يتمنى لو أن الأرض انشقت وابتلعته !!.

٢- ويدخل الرجال إلى مجلس ويسلمون على الحضور، وكان من بين الجالسين شاب مراهق أخذ منه الزمن مأخذه فغير جميع سلوكياته ومظاهره الخارجية، فوجئ المراهق بأن الرجال يهمشونه ويحتقرونه، فكانت النتيجة سلبية تماماً، إذ عمد المراهق إلى سبابهم واحتقارهم، ثم خرج غاضباً من تصرفاتهم الحمقى، وعمد إلى سياراتهم إذ كانت واقفة عند المترل وأحرقها جميعاً!!.

وأصبح في ما بعد من أكبر المجرمين في المجتمع. أليس تصرف هؤلاء الرجال كان هو الباعث والسبب؟!!.

لو تلقى هذا المراهق الاحترام الجزيل من الحاضرين، ووجه باللقاء الجميل والكلمة الطيبة لربما كان يقلع عن تصرفاته وسلوكياته الخاطئة، ولكان حاله اليوم أفضل.

٣- تذهب فتاة مراهقة الى حفلة من الحفلات، أو إلى مجلس من مجالس الوعظ والإرشاد فتفاجأ، بأن الحاضرات يتطلعن إليها بازدراء واحتقار شديدين، فلا أحد ينظر إليها ويرد عليها السلام!.

فتخرج وهي مملوءة غيظاً وغضباً وحقداً على من في هذه

الحفلة أو ذلك المجلس، وبدل أن تقلع عن غيها تزداد تعنتاً واحتقاراً للمبادئ الدينية والقيم الإسلامية !!.

إن هذه النماذج ـــ عزيزي القارئ ـــ ما هي إلا شذرات بسيطة من الواقع المعاصر الذي نعيشه اليوم، سواء كان في الأسرة أو المجتمع الإسلامي، مما ترك آثاراً سيئة على الفرد، والمجتمع والأمة.

يقول بعض المتخصصين في هذا المجال: إن أعراض النبذ والحرمان وفقدان الاحترام لها آثار سلبية على المراهق في أسرته ومجتمعه، لذلك يتعرض لمحنة الشعور بأنه شخص غير مرغوب فيه، أو عندما يدرك أن بعض الأشخاص من ذوي الشأن في محيطه الاجتماعي لم ينصفوه وأنهم كثيراً ما يتحيزون ضده، قد يتخذ الوسائل الضرورية لحماية نفسه من هذا الإجحاف. وقد يكتشف أخيراً بأنه سيحظى بالتسامح فقط، عندما يترح عن طريقهم ويبتعد عنهم ولا يجالسهم، أو عندما يسير وفق رغبات والديه من غير اعتراض، أو يحاول بطريقة ما أن يتخلص من هذا الإجحاف بإرضاء والديه بسلوكه الحسن وبذكائه المرموق أو أي صفات أخرى محببة تلقى هوى في نفوس والديه وترضي غرورهم وكبرياءهم، إن الأطفال المراهقين الذين يتعرضون للمعاملة السيئة سيجدون صعوبة كبرى في حياتهما الأسرية والاجتماعية.. وقد

يشنون حملة في اكتساب عطف الآخرين وقبولهم لهم، أو يشـنون حملة واسعة يدافعون بها عن أنفسهم، وقد يعـبرون عـن هـذا الأسلوب بارتكاب أفدح الجرائم والمنكرات بحق المجتمع[1].

من هنا يجب أن يفهم الآباء والأمهات، أن فترة(المراهقـة) فيها كثير من الصعاب التي بحاجة لفهم ومعرفة وخبرة طويلـة المدى، وأهم ما فيها أن نعرف فترات استعداد المراهق للحـب والتضحية والنشاط والحيوية في حياته، التي ينبغي أن نعيها جيـداً ونتصرف معها بحكمة وموعظة حسنة حتى نسـتثمر طاقاتهم ونشاطهم وحيويتهم ونقوم اعوجاجـهم للصـالح الشـخصي والاجتماعي معاً، فالحب وفتح باب المناقشة معهم ومعاملتـهم على أنهم أصدقاء خلص يهيء لتحصينهم من الانحراف الأخلاقي في هذه الفترة الحرجة في حياة المراهقين.

الإسلام ومراعاة قواعد الاحترام:

يعتبر الإسلام قواعد الاحترام من أهم القواعد التربويـة، وعوامل النجاح الأسري والاجتماعي، وبدونه لا نسـتطيع أن نحصل على متطلبات النجاح والسعادة الدائمة.وحينما نعـود إلى المصادر التاريخية لحياة رسول الله(صلى الله عليـه وآلـه وسـلم) وأهـل

---

[1] - راجع كتاب المراهق ص١٠٧ نوري الحافظ.

البيت(ع) نرى بوضوح كيف كانوا يتعاملون مع أبناء الإسلام؟ وكيف كانوا يربون أبناءهم وسائر أفراد المسلمين على قواعد(الاحترام) ؟. ولكونهم(ع) القدوة الحقيقية التي خلفتها السماء لأهل الأرض، ينبغي على كل مسلم ومؤمن أن يلتزم بمناهجهم نظرياً وأن يطبقها على واقعه الأسري، والاجتماعي المعاصر. قال تعالى: **{ولكم في رسول الله أسوة حسنة}**[1].

ولكون الآداب طريق النجاح لحياة الإنسان السعيدة، لذلك يتحتم عليه أن يربي أبناءه على مناهج التربية الإسلامية الصحيحة حتى يتسنى لنا جميعاً أن نحصل على سلم الكمالات المعنوية والنفسية والدينية والاجتماعية لأن من لا أدب له لا حياة له أيضاً. يقول الإمام علي(ع):(لا ميراث كالأدب) فمن رام أن يخلف لأبنائه شيئاً فليخلف لهم حسن الأدب.

جاء في الشعر المنسوب للإمام على(ع):

ليس اليتيم الذي قد مات والده   إن اليتيم يتيم العلم والأدب

ويقول بعض أساتذة الأخلاق: إن الإنسان الذي لم يتأدب ويتعرف على مناهج الإسلام في علم الأخلاق، ولا سيما قواعد الاحترام داخل الأسرة وفي المجتمع يكون عالة على نفسه وعبئاً

[1] - (سورة الأحزاب / ٢١).

ثقيلاً على الآخرين الذين سوف ينالهم منه الضــــرر، فــالذي لا يعرف الأدب ولا التأدب قد يلقي بحجر في بئر، فـــلا يســـتطيع العقلاء إخراجه من ذلك البئر وبذلـــك يعـــم الجميـــع ضـــرر وخسارة...

النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) منبع الاحترام:

لو قرأنا سيرة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) لرأينـــا احترامه العميق للأطفال والمراهقين جميعاً، فقد كان يـــهتم هـــم ويراعيهم ويتحسس مشاعرهم الجياشة، ويكثر من توجيه الآبـــاء والأمهات نحو الرعاية الأخلاقية الكاملة للأبناء وتنشئتهم تنشـــئة سليمة تحت ظل مبادئ الدين الحنيف وتعاليمه الحقة، ويعـلملوهم بمنتهى اللين والرفق والعشرة الحسنة.

فقد روي أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يؤتى بـــالصبي الصغير ليدعو له بالبركة أو يسميه فيضعه في حجره تكريماً لأهله، وتعظيماً لشأنه، فربما بال الصغير عليه، فيصيح بعض من حضـــر مجلس الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) فيقول(صلى الله عليه وآله وســـلم):لا، لا تزموا بالصبي، فيدعه حتى يقضي مراده ويفرغ من الدعاء لـــه أو تسميته، ويبلغ سرور أهله فيه ولا يرون أنه يتـــأذى ببـــول

صبيهم فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعد[1].

وعن أنس: أن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) مــــر علــى صبيان فسلم عليهم وهو يمذك ـــــ أي مسرعاً ـــــ.

النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) الأب المثالي:

وحينما نقرأ سيرته العطرة مع عائلته، نجد أنه أب مثـــلي في أسرته الطاهرة(ع) وخصوصاً في سلوكياته مع أبنائه وزوجاتـــه وبناته، فقد كان الأب الرؤوف والحنون عليهم جميعاً، وما كـــان يقابل أحداً منهم بخشونة التعامل وفحش القول قط، بل بتـــودد إليهم وود عن مسيرتهم وتشجيعهم وتنمية كفاءاتهم، واحترامـــهم في الأسرة وخارجها.

روي أن رسول الله(صلى الله عليه وآلـــه وسـلم) قبـــل الحســـن والحسين(ع) فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة مـــن الأولاد ما قبلت واحداً منهم قط !.

فغضب رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) حتى تغيرلونه وقـــال للرجل: إن كان الله قد نزع الرحمة من قلبك فما أصنع لك.

وروي أنه كان يشد عزم ابنه الحسن(ع) ويأمره ويشجعه على المناظرات العلمية والأدبية والدينية مع المناوئين، ممـــا أهلـــه

---

[1] - (راجع البخاري ج٨ ص١٠).

علمياً وأخلاقياً ومترلةً. فقد روى الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان: بينما كان رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وفي جماعة من أصحابه، إذ أقبل إليه الحسن فأخذ النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) في مدحه، فما قطع رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) كلامه حتى أقبل إلينا أعرابي يجر هراوة له، فلما نظر رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: قد جاءكم رجل يكلمكم بكلام غليظ تقشعر منه جلودكم، وسيسألكم عن أمور، وإن لكلامه جفوة، فجاء الأعرابي فلم يسلم وقال: أيكم محمد؟!.

قلنا: ما تريد؟

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): مهلاً.

فقال: يا محمد لقد أبغضتك و لم أرك والآن فقد ازددت لك بغضاً.

فبتسم رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وغضبنا لذلك، وأردنا بالأعرابي إرادة، فأومأ إلينا رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أن اسكتوا.

فقال الأعرابي: يا محمد إنك تزعم أنك نبي، وإنك قد كذبت على الأنبياء وما معك من برهانك شيء.

فقال له(صلى الله عليه وآله وسلم) وما يدريك؟

قال: فخبرني ببرهانك.

قال(صلى الله عليه وآله وسلم): إن أحببت أخبرك عضو من أعضائي فيكون ذلك أوكد لبرهاني.

قال: أو يتكلم العضو؟

قال(صلى الله عليه وآله وسلم): نعم يا هذا.

فأشار الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) على ابنه الحسن(ع) فقال له: يا حسن قم.

فازداد الأعرابي غضباً في نفسه، وقال: ما يأتي، ويقيم صبياً ليكلمني.

قال(صلى الله عليه وآله وسلم): إنك ستجده عالماً بما تريد.

فابتدره الحسن(ع) وقال: مهلاً يا أعرابي:

ما غبياً سألت وإبن غبيٌ   بل فقيهاً إذاً وأنت الجهول
فإن تك قد جهلت فإن عندي   شفاء الجهل ما سأل السؤول
وبحراً لا تقسمه الدوالي   تراثاً قد توارثه الرسول

لقد بسطت لسانك، وعدوت طورك وخادعت نفسك، غير أنك لا تبرح حتى تؤمن إن شاء الله.

فتبسم الأعرابي وقال هيه !

فقال الحسن(ع): نعم اجتمعتم في نادي قومك وتذاكرتم ما جرى بينكم، على جهل وخرق منكم، فزعمتم أن محمداً صنبور - أي لا خلف له - والعرب قاطبة تبغضه، ولا تطالب

بثأره، وزعمت أنك قاتله، وكان في قومك مؤنته، فحملت نفسك على ذلك، وقد أخذت قناتك بيدك تؤمه تريد قتله، فعسر عليك مسلكه وعمّى عليك بصرك، وأبيت إلا ذلك، فأتيتنا خوفاً من أن يشهر، وإنك إنما جئت لخير يراد بك، أنبئك عن سفرك، خرجت في ليلة ضحياء، إذ عصفت ريح شديدة... إلى أن يقول: فأبصرت فإذا أنت عندنا فقرت عينك، وطهر دينك وذهب أنينك.

قال الأعرابي متعجباً: من أين قلت ياغلام هذا؟ كأنك كشفت عن سويداء قلبي، ولقد كأنك شاهدتني، وما خفي عليك شيء من أمري، وكأنه علم الغيب؟

ثم قال الأعرابي للحسن(ع): ما الإسلام؟

فأجاب: الله أكبر، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

فأسلم الأعرابي، وحسن إسلامه، وعلمه رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) شيئاً من القرآن وأمره أن يعود إلى قومه ويعلمهم الإسلام[1].

إن تربية النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) لأبنائه على

---

(1) -(تاريخ ابن الأثيرج٣ص١٥٤).

قواعد(الاحترام) جعلت الإمام الحسن والحسين وسائر أبنائه نموذجاً واضحاً، وأسوة حسنة، لكل عائلة تريد أن تأخذ بمعالم النجاح في الحياة.

وأما احترامه وأخلاقه مع الرجال والنساء فحدث ولا حرج.

فقد كان(صلى الله عليه وآله وسلم) يبدأ من لقيه بالسلام، و لم يكن بالجاف في التعامل مع الآخرين، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، وجل ضحكه التبسم، ويؤلف بين الناس ولا يفرقهم، ويتفقدهم إذا غابوا عنه، وأفضلهم عنده أعملهم نصيحة، وكان دائم البشر، وسهل الخلق، ولين الجانب، وليس بفظٍ ولا غليظ ولا صخاب، ولا فاحش، ولا عياب، ولا مداح، ويعود المرضى، ويتابع الجنائز، ويجلس على الأرض، ويؤثر الآخرين على نفسه و.. و.. و.. إلى غيرها من صفاته الأخلاقية المثالية النموذجية العالية.

كما أن أهل بيته(ع) ساروا على هذا المنهج الأخلاقي الرائع، ومن راجع المصادر التاريخية القديمة منها والحديثة يرى مزيد بيان هناك.

إذن: الدين الإسلامي وتعاليم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت(ع) والعلماء(رض) يؤكدون ويحرصون حرصاً

شديداً على أهمية التربية الأخلاقية للأبناء، وضـــــرورة احـــترام مشاعر(المراهق منهم) حتى نحصل على أسرة ومجتمع أفضـــــل إن شاء الله تعالى.

سابعاً: معرفة الصالح والفاسد.

تعتبر التجارب العملية التي يخوضها الآباء والأمهات أيـــام طفولتهم، خير درس للأبناء في المستقبل البعيد سواء كان مادياً أو معنوياً في الحقل الاجتماعي أوالسياسي أوالديني أو الـــتربوي أو الأسري..الخ.

ولكون الطفل في هذا العمر لايفقه صالحه من فساده، فـهو في أمس الحاجة للرعاية الأسرية عاطفياً وتربوياً ومادياً أيضـاً، فتجربة الأم في الطفولة تنعكس سلباً وإيجاباً على البنات في الحيـلة الأسرية، وتجربة الأب ومامر به من ظـــروف إيجابيـــة وســلبية تنعكس هي الأخرى على الأبناء سلباً وإيجاباً أيضاً.لذلك فـــإن الطفل والشاب والشابة والمراهق والمراهقة في هـــذه الفـــترة في أمس الحاجة لمعلم قدير يعلمهم ما يصلحهم من أمـــور الدنيـا والدين، ويجنبهم ويحذرهم ما يفسدهم ويحرفهم ويجعلــهم آلـــة تدمير اجتماعية في مستقبلهم الغيبي، وبمقدار تجـــارب الآبـاء والأمهات في حياقم الطفولية ينعكس على مستوى الأبناء في ظل

الأسرة والمجتمع والمستقبل البعيد.

يقول الإمام علي(ع): (إيمان الرجل ونجاحه على قدر تجربته).

إن تربية الأبناء على السلوك السوي مسألة نتعلمها من خلال تجاربنا السابقة، حينما كنا أطفالاً نتلقى الأوامر والنواهي من الآباء والأمهات..وهذه التجربة التربوية التى مر بها الآباء والأمهات في حياتهم الطفولية، وفي فترة(المراهقة) اكتشفوا أسرارها وخاضوا غمارها وعايشوا مشكلاتها الكثيرة، فتوصلوا عندها الى ماهو صالح، وما هو ضار في أساليب التربية الأسرية على صعيد الجيل(المراهق).

يقول بعض الباحثين في هذا الصدد:يكتشف الطفل في مرحلة البلوغ عالماً أوسع، ويبدأ نشاطاته الجديدة، وهو في الحقيقة يبدأ بالتتلمذ في مدرسة المجتمع ليتمكن من إيجاد علاقات جديدة بينه وبين البالغين والكبار، وهذا يحصل على مفهوم عن ذاته أعمق إدراكاً وتجربة من السابق، فبالمقدار الذي يعرف نفسه وتزداد أنانيته، تبدأشخصيته أيضاً بالتكون وتشكيل المفاهيم والمعالم الواضحة في طريق مستقبله، وخصوصاً على صعيد التجارب التى اكتسبها من أبيه وأمه.

في البدء تكون متذبذبة ومتغيرة، بعدها يتحدد شيئاً فشيئاً

وضعها وأخيراً تستقر في مرحلة الكمال والنضوج.

ففي بداية الأمر ليست سوى ظهور غير منتظم للكيفية المزاجية والتكوين الطفولي الموجود تلقائياً، ومن ثم ينتفع من تجارب الحياة تدريجياً، حتى تتكون الشخصية الاجتماعية للطفل المراهق، ومع أنها تكون ناقصة في البدء، إلا أنها تكتمل بالتدريج في الحياة العملية والعلمية حتى يفقه فقه الحياة، تماماً كما مر والده ووالدته بنفس هذه المرحلة كماً وكيفاً[1].

إن الواجب الملقى على عاتق الأسرة من الآباء والأمهات، والمعلمين في الحقول التعليمية والتربوية، هو العمل الدؤوب على تطوير عقلية الشاب والشابة (المراهقين)، مما يجعلهما أكثر حنكةوتجربة في الحياة، ومع أن هذا العمل تعتريه كثير من العقبات والصعوبات إلا أنه كفيل بالنجاح إذا كانت قاعدته (العلم، والتجربة، والحنكة الإداريه).

تجارب الآباء خير رؤية للأبناء:

تحت هذا العنوان أشار بعض الباحثين التربويين في هذا الصدد: أن الآباء والأمهات يمتلكون رصيداً ضخماً وكبيراً من المعلومات، والتجارب والنظريات الهامة التي لها الاهتمام العالي،

---

[1] - راجع ماذا أعلم ص٧٦.

والانعكاسة الصحيحة على حياة الأسرة والأبناء.

فالأب خاض تجربة الطفولة والمراهقة في حياته الأسرية والعقلية والعاطفية، وتخطى الصعوبات والعقبات الكؤودة، حتى وصل الى ما وصل إليه اليوم، فأصبح رجلاً يشار اليه ويعتمد عليه، له تطلعاته وأمنياته وأحلامه أيضاً، وكثير من الآباء يطمح أن يتلقى ابنه نفس التربية والمنهج الذي تربى عليه وسار على خطواته ومعالمه، ولذلك فهو يستفيد تماماً من تجاربه السابقة في أساليب التربية المنزلية لأبنائه..وهذا المنهج نفسه بمعالمه ونظريته ومفاهيمه عند المرأة أيضاً في تربية الشابة(المراهقة).

يقول بعض الباحثين في هذا الصدد:(أوليست هي تجربة الحياة.. وقد خاضها الأب بكل فصولها حتى نشأ وترعرع، وأصبح رجلاً يعتمد على نفسه، ثم تزوج وأصبح أباً لمجموعة من الأبناء.

أو تلك الأم التي أصبحت قديرة في إدارة الشؤون المنزلية، وناجحة في تربية الأطفال، وسعيدة في حياتها الزوجية.

إن هذه الأم وذلك الأب وأمثالهما مليئون بعشرات بل مئات التجارب والمعلومات، وباستطاعتهما أن يقدما لأبنائهما العبر والدروس النافعة، والمليئة بالتجارب المفيدة لهم في طريق المستقبل..).

لذلك لاينبغي لأحد أن يستهين بقدراته وتجاربه ومعلوماته اتجاه أسرته، ومجتمعه، وأمته، ولاسيما التجارب التي أخفق فيها الإنسان في حياته الاجتماعية، والتربوية والأسرية.

وكما يقال، (فإن كل إنسان ناجح، إنما يمتلك مخزوناً من تجارب الإخفاق والفشل) !!وهناك العشرات بل المئات من القصص الواقعية التي حدثت لكثيرين من أبناء المجتمعات المختلفة إليك بعضها:

نماذج لابد من ذكرها:

ولو قرأنا صفحات التاريخ البشري، والإسلامي على حد سواء، وتاريخ العظماء في الحياة الإنسانية من اختراعات، ونظريات، وتجارب، ومعلومات لوقفت متعجباً ومستغرباً، كيف استطاع هؤلاء أن يصلوا الى ما وصلوا اليه، فأصبحوا قدوات وأسوات حسنة لجيلنا المعاصر اليوم. خذ على سبيل المثال تاريخ أول مخترع لطائرة وهو(عباس بن فرناس) تلميذ الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) الذي حاول الطيران فسقط عشرات المرات، وخاض عشرات التجارب الأخرى. ويقال أنه استطاع أن يصنع طائرة مصغرة تحمل شخصاً واحداً في قصر الدولة العباسية.. وكانت هذه العملية بطبيعة الحال نتيجة تجاربه اليومية والشهرية

والسنوية التي كان يخوضها في مختبراته ومخزون عقليته الفذة.

٢ــــ وهذا أبو العلاء، أحمد بن عبدالله بــــن ســــليمان القضاعي المعري التنوخي، ولدفي معرة النعمان، شمــــالي حمــــاة، واشتهرت أسرته بالرجال الذين تقلدوا المناصب القضائية، وكانوا علماء وأدباء وفقهاء..

ينقل في أحوال هذا الرجل العبقري، أنه أصيب وهــــو في الرابعة من عمره بالجدري، فانطفأت عينه اليسرى، وغشي عينــه اليمنى بياض، فأصبح أعمى أو كالأعمى، وكل ماكان يذكــــره اللون الأحمر، لأنه ألبس في مرضه ثوباً مصبوغاً به، ولكن كل ما أصابه لم يكن حائلاً بينه وبين تحصيله العلمي والعملي، بــل ازداد حماساً أكثر من ذي قبل، فأصبح يخوض غمار الحياة وعبابهــــا، وتخطى بإرادته العقبات الكأداء التي كانت حجر عثرة في طريــق نجاحه وطموحاته ومستقبله، فــــأصبح عندهــــا رجــــلاً أديبــــاً وشاعراًكبيراً ومصنفاً قديراًوأصبح أبا العلاء المعرى الذي يستحق لقب شاه الفلاسفة وفيلسوف الشعراء، ومحجة لكبــــار العلمــــاء والأدباء وطلاب العلم.وكان يملي على بضع عشرة محبرة في فنون العلم، ويقضي أيامه في التأليف والتصنيــــف طــوال الخمــس والأربعين التي عاشها حتى وفاته في سنة(١٠٥٧ هــــ).وبلغـت مؤلفاته الستين مؤلفاً..لقد صنعته التجارب والحياة فأصبح منبعــاً

غزيراً في العلوم والفنون والأدب، ولولا التجارب الكثيرة التي خاضها المعري لما استطاع أن يصل الى ماوصل اليه.

٣ ـــ وقد نقل لي بعض الزملاء إبان دراستنا في الحوزة العلمية، ـــ وهو شاب من الشباب المتفاعلين في طريق الدعوة ـــ أن والده الذي يبلغ من العمر الثمانين، قد دخل الحياة السياسية في أيام شبابه وخاض صراع التحرير ضد السلطة الحاكمة، ولكن لم يحالفهم الحظ في تحقيق النصر بالرغم من مضي سنين عديدة، وتجارب مضنية كثيرة..

ويضيف قائلاً:

إن والدي قد وصل الى حد اليأس من جدوائية العمل التغييري، والثورة ضد الوضع المتخلف في جسد الأمة والشعب، وكان والدي على اتصال وثيق بكبار قادة الدعوة الإسلامية لإصلاح المجتمع الإسلامي..وكان يقدم إلي تجاربه بروح يائسة، ولكنني ـــ وبحمد الله ـــ ازددت عزماً وإصراراً على المضي قدماً في سبيل الدعوة والتغيير وإصلاح الأمة والمجتمع الإسلامي، ولم أسمح لنفسي بالتأثر السلبي، بل وصلت الى قناعة تامة أن النجاح لا يأتي إلا عن طريق العشرات بل المئات من التجارب، والاستفادة من نصائح الآخرين وتجاربهم الحياتية، وأنا لاأترك أحداً له أهمية وخبرة ومستوى راقٍ وعلمي واجتماعي إلا

وأتقرب منه لكي يمنحني تجاربه في الحياة والعمل الإسلامي..

إذن: التجارب خير درس يقدمه الآباء والأمهات لأبنائهم في حياتهم المستقبلية، لأنها تصبح مخزوناً ومنهجاً وقاعدة يبني عليها الشاب(المراهق) حياته العلمية والعملية طيلة عمره وبقائه في الحياة على وجه الأرض، عندها يصبح رجلاً عجنته التجارب مما يقلل من انحرافاته الدينية والأخلاقية والتربوية والسياسية و..الخ. لأنه استفاد درساً عملياً من خلال تجارب من سبقه في طريق العمل والتعليم والتربية.

جاء عن الإمام علي(ع):(التجاربُ علمٌ مستفادٌ).

وعن الإمام الصادق(ع) بـ: (لا يُلسع العاقل من جحرٍ مرتين)[1].

أي أن العاقل يتذكر الدروس والعبر والتجارب التي استفادها من خلال مجالسه ومناظراته ومناقشاته العلمية والعملية التي سمعها وخاضها مع الآخرين، لذلك يكون عندها على حذر شديد جداً من أن يقع فريسة لأخطائه وشهواته وهواه، فلو سقط في الانحراف والأخطاء مرة لايسقط مرة أخرى قط!!.

الطرق العملية للإصلاح:

---

[1] - (ميزان الحكمه ح٤ص٨٧).

أ ـــــ الحث على طاعة الله:

إن الحث على طاعة الله من أفضل القربات التي يتقرب بها الآباء والأمهات لله سبحانه وتعالى، باعتبارها المنهج الذى تستطيع الأسرة أن تحقق من خلاله طموحاتها وتطلعاتها المنشودة، والذي من خلال دراسته والالتزام بخطوطه ومعالمه تخرج الأسرة جيلاً صالحاً ينفع الله به البلاد والعباد، وخصوصاً الحث عليه في هذه الفترة الحرجة بالنسبة للأبناء وهي فترة (المراهقة)، فنوضح لهم ونوطد علاقتهم با لله ومناهجه ونواهيه وأوامره ونرسخ في نفوسهم أنه عزوجل إنما أوجب الواجبات وسن المستحبات والآداب، وحرم المحرمات، ونهى عن المكروهات جلباً للمصالح الى عباده، ودفعاً للمضار عنهم، وإلا فلا تضره معصية العاصي، ولا تنفعه طاعة المطيع، لأنه تعالى غني على الإطلاق، وإنما مقصده من تشريع الأحكام إصلاح حال العباد، وإيصال النفع اليهم، ودفع الضرر عنهم، في المبدأ والمعاد.

وإذاكان الأمر كذلك فترك الانقياد لأوامره ونواهيه، يكون سفهاً لكونه تركاً لما يرجع نفعه إلى النفس، وإدخالاً للضرر على النفس، وتفويتاً للمنافع عليها، وظلماً لها..

وتعجبني كثيراً وصايا آية الله المامقاني لابنه التي لخصها في كتاب أسماه(مرآة الرشاد) وأنا أوصي جميع الآباء والأمهات

الذين ينشدون السعادة الكبرى وتحقيق غاياها لأسرهم أن يوصوا أبناءهم بقراءة هذه الكتب وأمثالها حتى يتسنى لنا جميعاً أن نخرج جيلاً قادراً على إصلاح الأرض والمجتمع والدين والأسرة.

وأن نعلمهم تعا ليم الإسلام في هذا المجال، ولاسيما منهج العبادة الخارجة عن نطاق التزمت الديني والتسيب اللاأبالي، بل العبادة التي تزوده روحانية وتعلقاً بالله، بحيث يفهم الإسلام والدين فهماًسليماً لافهم المتزمتين المتعجرفين، الذين فهموا من الإسلام والدين الصلاة والصيام وبعض الأوامر والنواهي الشرعية، وتركوا ما أباحته السماء وتعاليم الأنبياء(ع)، حيث جعلوا أعداء الإسلام والدين ينظرون لنا نظرة احتقار وعداوة، ويلفقون علينا تهمة الإرهاب الديني.. ينبغي لنا أن نفهم أبناءنا الدين وتعاليمه العبادية والعلمية فهماً يواكب التقدم والحضارة والمدنية بحيث لايخرجنا عن مبادئنا وتعا ليم ديننا وتقاليد مجتمعنا الإسلامي.

فواجب الآباء والأمهات مراعاة تلك التعاليم والمبادئ، حتى يتسنى لنا جميعاً نشدان السعادة والفضيلة والكرامة.فقد أوضح هذه التعا ليم الإلهية والمناهج العبادية والوصايا الذهبية، التي تبين حقوق الله علينا وواجباتنا تجاه الله سبحانه وتعالى الإمام السجاد علي بن الحسين(ع) في كتابه رسالة الحقوق بقوله: فأما

حق الله الأكبر عليك، فأن تعبده لاتشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة، ويحفظ لك ما تحب منهما..

وحق الله الأكبر كما أوضحه الإمام(ع) هو أن نعبد الله سبحانه حق العبادة الصادقة المخلصة له وحده، وأن نؤمن بكل ما جاء به على لسان أنبيائه ورسله، وعلينا جميعاً أن نخضع لسننه ونظامه وتعاليمه، لأن الارتباط بالله تعالى يعتبر ارتباطاً ضرورياً ومهماً للغاية، وينبغي أن تكون هذه العلاقة على أساس العبادة للمعبود، والمحبة للمحبوب، والخضوع للقهار الواحد الأحد، ولاشك أن علاقتنا به سبحانه وتعالى علاقة الفقير بالغني، والضعيف بالقوي، والذليل بالعزيز، والجاهل بالعالم..إن هذه التعاليم ينبغي أن نعلمها الأبناء في الفترة الحرجة التي يمرون بها حتى نضمن بهذا المنهج العبادي حصانتهم واستقامتهم أخلاقياً ودينياً وتربوياً واجتماعياً

نعم إن عبادة الله سبحانه وتعالى لاتعني فقط السجود والقيام والركوع وغير ذلك مما يمارسه العباد في عبادتهم والزهاد في زهدهم، إنما هي هالة روحانية ونورانية قدسية تخلق في شخصية الإنسان العابد خوفاً حقيقياً من الله سبحانه في سره وفي علانيته.

وهناك فرق واضح بالنسبة لكثير من شـــرائح المجتمعـــات الإسلامية المتزمتة التي تتوقع أن العبادة الحقيقية لاتأتي إلا بكـــثرة السجود والركوع، مع أننا نقرأ ونسمع في كثير من الأحـــاديث الشريفة والروايات المتواترة عن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت(ع) أن العبادة ليست بكثرة الركوع والسجود، إنما هـــي با لخوف والطاعة المخلصة لله سبحانه وتعالى وببعض الصفـــات الأخلاقية التى يتصف بها الإنسان العابد..فكم من عبد لاتنفعـــه كثرة سجوده، وصيامه وطول ركوعه؟! وكم عـــابد لايعـــرف السجود والركوع إلا في الفرائض الواجبة فقط وهـــو عنـــد الله أحسن من عابد وقف طول الليل والنهار يتعبد !!.

جاء في الحديث عن الصادق(ع) قوله:(ليســـت العبـــادة بكثرة السجود والركوع إنما بالإخلاص في العمل وأداء الأمانة).

وفي حديث آخر:(لايغرنكم من الرجل كـــثرة ركوعـــه وسجوده، إنما عليكم بامتحانه في أداء الأمانـــة والإخـــلاص في العمل، وحسن الخلق).

وفي كلمة للإمام علي(ع) يقول فيها:(وكم من صـــائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وكم من قائم لس له مـــن

قيامه إلا التعب والسهر..)[1].

العابد الساذج نموذج واضح:

روى ابن موسى، عن محمد بن يعقوب، عن علي بن محمد بن عبدالله، عن ابراهيم بن إسحاق الأحمر، عن محمد بن سليمان، عن أبيه، قال: قلت لأبي عبدالله الصادق(ع): فلان من عبادته ودينه وفضله كذاوكذا، قال: فقال كيف عقله؟

فقلت: لاأدري.

فقال: إن الثواب على قدر العقل، إن رجلاً من بني إسرائيل كان يعبد الله عز وجل في جز يرة من جزائر البحر خضراء نضرة كثيرة الشجر طاهرة الماء، وإن ملكاً من الملائكة مر به، فقال: يارب أرني ثواب عبدك هذا، فأراه الله عزوجل ذلك، فاستقله الملك، فأوحى الله إليه أن اصحبه فأتاه الملك في صورة إنسي فقال له: من أنت؟

قال: أنا رجل عابد بلغني مكانك وعبادتك بهذا المكان فجئت لأعبد معك، فكان معه يومه ذلك، فلما أصبح قال له الملك: إن مكانك لنزهة، قال: ليت لربنا بهيمة، فلو كان لربنا حمار لرعيناه في هذا المكان فإن هذا الحشيش يضيع، فقال له الملك:

---

(1) - (ميزان الحكمه ج٥ص٦٧).

ومالربك حمار؟

فقال: لو كان له حمار ما كان يضيع مثل هذاالحشـــيش، فأوحى الله عزوجل إلى الملك إنما أثيبه على قدر عقله[1].

هذا نموذج واضح بأن العبادة ليســـت بمقـــدار الركـــوع والسجود، وإنما بمقدار ماهية معرفة الله عزوجل حـــق المعرفـــة وتطبيق تلك المعرفة، على الحياة الإنسانية للإنسان المســـلم، وفي الحقيقة التي لامناص منها أن في مجتمعنا اليوم كثيراً مـــن هـــذه النماذج العبادية الساذجة..حيث أن هذا العابد بالإضافة إلى أنـــه قائل بالتجسيم فلديه نقصان عقل من حيث أن عقله لم يتوصـــل إلى معرفة الفوائد من مصنوعات الله سبحانه وتعالى..

ليس معنى كلامي هنا، أن كثرة الركوع والسجود ليس لها ثمرة عبادية وعملية، كلا، ولكن لو اجتمعت في شـــخص مـــن الأشخاص هاتان الصفتان(كثرة الركوع والسجود، والإخـــلاص في العمل والطاعة) لكان ذلك أفضـــل أيضـــاً..إذ أن العبـــادة ـــــ أيها القارئ الكريم ـــــ نور يقيـــني، وطمأنينـــة قلبيـــة، وانعكاسة عملية وجهادية في سبيل تحصيل مرضاة الرب الجليـــل، زادها التقوى والورع عن محارم الله عزوجل، والاشتغال بتـــلاوة

---

(1) - (البحارج١ص ٣٤).

القرآن وتدبر آياته، وتفسيره، ودراسة أحاديث الرسول وأهـــل البيت(ع) والاقتداء بسيرهم العطرة في كل شي، والابتعاد عـــن معاشرة أهل البغي والسوء، وجهاد النفس دوماً وأبداً. وكمـــا قـــال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): (اليقين هو الإيمان كله).

ب ـــــ الحث على دراسة العقيدة الإسلامية:

العقيدة الإسلامية هي التي تحدد للإنسان أفكاره ومفاهيمـــه وقيمه، وتربطه بما حوله من كون وأرض، وأفكـــار، ومخلوقـــات، و....الخ.وتجعله يعيش حالة من العلاقات الروحية والتفكير المعمـــق في كل شيء يدور حوله، من ثم تقوم هذه الأفكار وتلك البصـــائر العقلية التي يثيرها ذهن الإنسان بتحديد معا لم وطرق المعاملـــة مـــع الأشياء، هل يتعامل معها أويحجم ويتراجع القهقرى عنها؟

وبطبيعة الحال إن أي شخصية إنسانية مهما كانت وتكون تحمل نوعية معينة من الأفكار والمفاهيم، وتلك هي التي تحدد لهـــا ومعها العملية في شكليها النجاح أو الفشل والخسران ومن تـــأقلم الشخصية بما تحمل من عقيدة وأفكار وأخلاق..

فتلا حظ على سبيل المثـــال أن الشـــخصية الشـــيوعية شخصية حقودة على الإسلام والمســـلمين والمبـــادئ والقيـــم والأخلاق..فالتعامل الشيوعي يبين حقده وغضبه في العمل علـــى

صاحب العمل ويعمل ليل نهار من أجل أن يصل الى اغتيال أخيه في العمل نفسه والتخلص منه بأية وسيلة كانت، ولو لاحظنا هذه السمة لرأيناها نابعة من العقيدة التي يحملها ويتبناها الفرد الشيوعي أوالماركسي على حد سواء.

وقد نقل بعض الكتاب في مصادرهم: أن العقيدة الماركسية تحارب الدين والعقائد الصحيحة بكل قواها، فقد قال ماركس عن الدين: إن الدين يجب أن يزول لأنه أفيون الشعوب...) وصحفهم تدعو في إلحاح الى التخلص من كل ما بقى من آثار إسلامية ودينية وعقيدية صحيحة في الأرض، وأقرب مثال على ذلك المساجد في ألبانيا مغلقة، ومن أظهر ميله الى الدين ينكل به بشدة، وقد تكون عقوبته الإعدام رمياً بالرصاص...

فالعقيدة إذن: معلم ورؤى وبصائر تحدد لحاملها معالم الطريق، وتوضح له سبل النجاة الدنيوية والأخروية، وبدونها لايستطيع الإنسان أن يحصل على متطلبات السعادة الأبدية قط، ولاسيما أن الجيل الصاعد ـــ المراهق ـــ في أمس الحاجة اليها باعتبارها الحصن الواقي الذي يقيه من انحرافات الأخلاق، وتمرد شيطانه عليه، كما أن شخصيته لاتصل الى سلم الكمالات الحقيقية وتحصل على متطلبات السعادة الدائمة إلا بالتمسك بمنهجيته الواضحة ومعرفتها معرفة تامة، حيث تمنحهم نظرة الى كل موجود في الحياة وتعطيهم همة ونشاطاً في التعامل معها إيجاباً وسلباً أيضاً،

حيث تنعكس هذه المعاملة على سلوكه المنتمي اليها، فتجعلها شخصيات متكاملة من كل النواحي العلمية والعملية.

ومن هذه النواحي هناك مسؤولية كبيرة تقع على عاتق الأبوين وهي أن يغرسا في نفوس أبنائهما روح الدين والعقيدة الإسلامية والمبادئ الحقة لأنها هي التي تحميهم في مستقبلهم من السقوط في حمأة الرذيلة، إن تسلح الشاب (المراهق) بالدين يرسم له طريقاً عملياً في الحياة، فهو الذي يحرره من الذل والعبودية، ويصونه من الجرائم الاجتماعية، كالاعتداء على الغير والتخريب، وغير ذلك من صنوف الموبقات.

إن الدين هو المنبع الأصيل للفضائل النفسية، والمقياس الصحيح للسلوك الإنساني الرفيع، وقد ذكر علماء الاجتماع أن أي قاعدة للسلوك الخلقي لا تقوى على البقاء بدون الدين، وأن المعايير الدينية تعني بالوضع الاجتماعي أكبر عناية بطريقة غير مباشرة، وأن قاعدة السلوك المنبثقة عن عقيدة دينية تعبر عن وجهة هذا السلوك، والموقف الذي يقفه الفرد إزاء أية حقيقة خارجة عن نطاق الحياة الإنسانية، وأغراضها، إنها تسعى لإقامة علاقات اجتماعية، وتربط فيها الأغراض بإرادة مفترض وجودها لقوى فوق البشرية.

إن تربية تقوم على هذا الأساس تتوافق مع نظام التكوين الحكيم وتتساير وفق قانون السماء وتعاليم الأنبياء والأوصياء

والعلماء هي حقاً أفضل أنواع التربية، وأثرها ثابت ومستقر في صرح ومعالم الشخصية الإسلامية مع أعاصير الشهوات والانحرافات والخرافات والأفكار الهدامة والثقافة المستوردة في الحياة، ويمكنها أن تضع الشاب - المراهق - الكفؤ الذي استطاع أن يقضى على العقبات الكأداء في طريق النصر، وتحقيق الطموح والسعادة الأبدية، إن الشاب والشابة منا حينما يكون صغيراً تنتابه أحاسيس وعواطف وطموحات وتطلعات كثيرة يتمنى أن يمر ويصل اليها، ويعمل طويلاً من أجل أن يحقق ما يصبو اليه - فاهتمام الآباء والأمهات بغرز بذور العقيدة وتعميق دراستها ومنهجها ومعالمها في شخصية(المراهق) لهي طريق الخلاص والنجاح والسعادة معاً.

يقول الدكتور ألكسيس كارليل: لا بد من الآن الاهتمام بقضية إحياء التعاليم العامة. فالمدارس الابتدائية والثانوية والجامعات لم تستطع تربية رجال ونساء يتحملون جيداً عبء القيادة الصحيحة للحياة. وسارت المدنية الغربية نحو الانحطاط، لأنه لم تنجح المدرسة ولا الأسرة في تربية أناس متمدنين حقيقة.

يعود فشل التربية والتعليم في الحال الحاضر الى قلة الآباء والأمهات الذين يتمتعون بالإدراك الكافي من جهة، والى الأولوية التي يعطيها المعلمون للقضايا الفكرية وعدم فهمهم المتكامل

للقضايا الفسيولوجية وتجاهلهم للمبادئ الأخلاقية من جهة أخرى.

وتبرهن أحداث السنوات الأخيرة على نواقص جيل الشباب الذين خرجتهم المدارس والجامعات. فحينما يتشتت المجتمع فماذا ينفع العلم والآداب والفن والفلسفة.

لكي تواصل حضارتنا حياتها، لا بد أن يستعد الجميع للحياة، ولكن ليس وفقاً للأيديولوجيات بل حسب النظام الطبيعي للأشياء. بناء على ذلك لا بد أن يحل التعليم الشامل محل التعليم الفكري البحت. بعبارة أخرى، لابد من دفع جميع الإمكانيات الوراثية للعمل والنشاط، والمرء الذي يتربى على هذا المنوال يقف على الحقائق العلمية والاجتماعية.

إننا لا نملك اليوم معلمين للتعليم والتربية الشاملين، لذا وقبل كل شيء هناك ضرورة لإيجاد المدارس التربوية التي يعلم فيها المنهج الصحيح للحياة ومقرراتها وديناميكيتها.

إن واجب هذا المعلم هو إيجاد الإمكانيات الكاملة، ويعلم فيها كل فرد بالمقدار الذي تسمح به إمكانياته الموروثة الأدب وامتلاك النفس والصدق وحس الجمال والحس الديني وتقاليد البطولة والشجاعة، وفي نفس الوقت أن يكون على اتصال دائم بالأطباء وأساتذة التربية البدنية والتنمية الفكرية وعلماء الدين

الحقيقين وأولياء أمور التلاميذ، وأخيراً فإن الاهتمام بأثر هـــذه العوامل المختلفة يمكن أن يجعل من كل طفل كائنـــاً متزنـــاً، إن معلماً كهذا هو المدير الحقيقي للمدرسة[1].

إن الشاب المراهق والفتاة المراهقه اللــــذان يترعرعـــان في كنف العقيدة الإسلامية ومبادئها الحقة وتعاليم الدين الحنيـــف، وتنمو أجسامهما وأرواحهما وحياهما في ظـــل آداب وســـنن رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت(صلى الله عليـــه وآلـــه وسـلم) وتعاليم الأصحاب والعلماء(رضوان الله عليهم) يصبحـــون في المستقبل أناساً يعتمد عليهم لشد أواصـــر الأخـــوة والتعـــاون والإصلاح الديني والاجتماعي والاقتصادي والــتربوي...الخ. في المجتمع والأسرة والأمة، بالاضافة أهما يعيشـــان عيشـــة هانئـــة ويتمتعان بكافة خصائص الحياة المرفهة والسعيدة. يقول الرســـول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم): (من قرأ القرآن وهو شابٌ مؤمـــنٌ اختلط القرآن بلحمه ودمه)[2].

وعنه(صلى الله عليه وآله وسلم): (سبعة يظلهم الله في ظله يـــوم لا ظل إلا ظله ومنهم: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله)[3].

---

(1) - ألكسيس كارليل: الإنسان ذلك المجهول ص.

(2) - الإمام البخاري ج٢ ص١٤.

(3) - تفسر مجمع البيان مجلد ٢ ص ٣٨٥.

ذهنية المراهق والتحولات العقيدية:

يجب أن يفهم المربي، أن ذهنية الشاب والفتاة المراهقين، تمر بفترات تغيرية وتحوليه نحو الاتجاه العقيدي والديني والسلوكي، حيث يستمر هذا التحول وتلك التغيرات من ابتداء العقد الثاني من عمر المراهق وانتهاء بالعقد الثالث، عندما يسير نمو الذهنية بشكل سليم يصبح المراهق الصغير قادراً آنذاك على فحص أفكاره وثقافته وعقائده الدينية التي كان يعتبرها وهو صغير بعد من الأمور المتسالم عليها والتي قد استوحاها من أبويه أو من معلمه أو من بيئته الفكرية التي ولد بها ونشأ بين أفيائها... لكن سرعان ما يصطدم بكثير من الأفكار والآراء والمعتقدات عندما يقرأ ويسأل ويسافر ويشاهد العبادات ويتعرف على المعتقدات والأفكار التي هي على خلاف تام مع ما يعتقده ويدين به وتلقى تربيته وتعليمه في ظله.. وكلما تعمق فكر المراهق وذهنيته العلمية في دراسة المبادئ والأديان والمعتقدات والأفكار كلما ازداد إصراراً على معرفتها والسؤال عنها، ومتى ما يحصل له اليقين والاطمئنان والدليل القاطع على شيء منها كأنما حصل على ضالته المنشودة وسعادته الدائمة بالنسبة له. لذلك فإن دراسته وتفهمه من أبيه وأمه ومعلمه تكون له منهجاً مضيئاً وحصناً واقياً

في المستقبل كلما نشأ وترعرع وتعمق.

جاء في الحديث عنه(صلى الله عليه وآله وسلم): «الغلامُ يلعب سبع سنين ويتعلمُ الكتاب سبع سنين، ويتعلمُ الحلال والحرام سبع سنين»[1].

إن إشباع الرغبة الدينية والعقيدية وتنمية الإيمان والأخلاق والكفاءة عند المراهق مسؤولية الآباء والأمهات، وإذا انتاب المراهق في هذه الفترة الحرجة من حياته تقصير وانحراف عقيدي وسلوكي وأخلاقي وديني وتربوي فيقع عندها اللوم على الآباء والأمهات. وسيكون الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) خصمهم يوم القيامه كما جاء في بعض الاحاديث والروايات الشريفه.

روي عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم):(أنه نظر الى بعض الأطفال فقال: ويلٌ للأولاد آخر الزمان من آبائهم.

فقيل: يارسول الله من آبائهم المشركين؟

فقال: لا من آبائهم المؤمنين.

فقالوا: وكيف يكونون يارسول الله؟ !

فقال: لا يعلمونهم شيئاً من الفرائض، وإذا تعلم أولادهم منعوهم، ورضوا عنهم بعرضٍ يسيرٍ من الدنيا، فأنا منهم بريٌ

---

[1] - البخاري ج١ ص ٤٧.

وهم مني براء)[1].

وقد تمر على المراهق فترة زمنية يغير فيها مسبقاته الفكرية ومعتقداته وأفكاره التي تلقاها عن تربية أو علم أو قناعة معينة، وخصوصاً في فترة الصراع الذهني والعاطفي والنفسي الذي يعيشه أو يمر به، فيقوم بفحص لأفكاره ومعتقداته ومسبقاته المتعلقه بالعقيدة والواجبات والمحرمات، بل الشريعة بكاملها فيقف متمعناً أمام إعصار الشهوات وتضارب الأفكار أيهما عله حق وصواب؟ ! هل ما عليه أبي وأمي وأسرتي وديني صحيح؟ وهل ما تلقيته من وحي بيئتي ومدرستي صحيح؟ أم ما عليه الآخرون من الناس الخارجين عن نطاق مبدئي وديني وعقيدتي الإسلامية صحيح؟!!وهناك تتضارب وتتوارد على ذهنيته مئات بل آلاف الأسئلة المحيرة التي مسؤوليتها في الواقع العملي وحلها مناط بالآباء والأمهات، حيث هم المسؤولون عن إعطاء الأجوبة الشافية لتضارب أفكار عقلية المراهق في هذه الفترة الحرجة من حياته.

يقول بعض الباحثين في هذا الصدد: (ومن المناسبات الأخرى التي قد تدفع الشخص الى تغيير آرائه الدينية ازدياد

---

(1) - مستدرك الوسائل مجلد ٢ ص ٦٢٥.

قابليته على فحص الظروف التي قد تلقى مـــن خلالهـــا هـــذه المعلومات الدينية، أو في فحص القدوة التي يجب أن يقتدي بهـــا وينتهج نهجها).

وقد يدرك المراهق أن البعض من هـــؤلاء النـــاس الذيـــن يلهجون بذكر السعادة والسكينة النفسية والهدوء الذهني التي قـــد ضمنها لهم الإيمان الديني، أنهم في الواقع لا يعكسون هذه السعادة في حياتهم، وأنهم لا ينعمون بسكينة النفس التي يزعمونها.

فمثلاً يعتبر بعض الناس أن الشـــخص الـــذي لا يحـــب الآخرين ليس من الدين في شيء، ولكنه هو نفسه يعكس التحـــيز الشديد في سلوكه مع الآخرين، فتراه لا يمتلك خلقاً ســـليماً في حياته، فمثله مثل رجل الدين والداعية الإسلامي الذي يدعـــي الالتزام والتقيد بقواعد الدين الحنيف، ولكن ســـلوكه ينـــاقض ادعاءه وزعمه.

لقد قام الباحث(داوسن) بدراسة أظهر لنا مـــن خلالهـــا التحولات الفكريه التي تطرأ على التوجه العقيـــدي في ذهنيـــة المراهق، تناولت هذه الدراسة رغبة الصغـــار الذيـــن تـــتراوح أعمارهم بين سن الثامنة وبين سن العشرين في تعرفـــهم علـــى الأقسام المختلفة من العقائد والأديان، لقد أظهرت نتائج هـــذه الدراسة أن الأطفال الكبار قد أظهروا رغبة واضحة في التعـــرف

على النواحي التاريخية في كتب الأديان، ورغبة واسعة متزايده في التعرف على حياة الشعوب والأفكار المختلفة، وعلى الرغم من أن هذا التحول لم يكن بارزاً بشكل مثير، إلا أنه يعكس لنا أنه كلما مضى المراهق قدماً في نموه العقلي والتفتح الذهني والنضج الجسدي، فإن الرموز الدينية والأفكار العقائدية التي تعلمها وعرفها من قبل ستصبح قليلة ومحدودة لأنها تتحول على شكل اعتقادات وأحاسيس تتبدل الى درجة كبيرة.

واستناداً الى هذا الرأي الذي جاء به(داوسن) فإنه عندما يقرأ المراهق الصغير مثلا، قصة النبي أيوب فسوف ينطبع في ذهنه الحقيقة التي تشير بأن النبي أيوب كان رجلاً غنياً وصالحاً، وهذا ما يدفعه الى احترامه وتقديره الى نهاية القصة، لقد أثبتت دراسة(داوسن) أن المراهق يتأثر وينفعل الى درجة كبيرة بأخلاق وصلابة وقوة وصبر النبي أيوب، وأن هذا البلاء النازل لم يكن في الواقع إلا امتحاناً لإيمانه القوي.

كما أن هناك دراسات كثيرة قدمها الباحثون عن التقلبات الذهنية في عقلية المراهق حيث تتغير مفاهيمه القديمه الى مفاهيم جديدة، من خلال ما يشاهده ويعتقد به.

وفي دراسة أخرى أجراها باحثان آخران تتصل أيضاً بالتحولات في الاعتقادات الدينية للمراهقين الذين تتراوح

أعمارهم بين السنة الثانية عشر، والثامنة عشر، أظهرت هذه الدراسة بعض التحول، ولكن مما يلفت النظر بصورة بارزة وجود التشابه بين هؤلاء المراهقين الصغار والكبار المتفاوتين في أعمارهم.

وعلى سبيل المثال، فقد كانت ردود فعل هؤلاء المراهقين المختلفي الأعمار حول موضوع الجنة والنار تكاد تكون متقاربة، فهي تمثل على التوالي ٤٢% لمن هم في سن الثانية عشر و ٥٠% لمن هم في سن الخامسة عشر و ٥٧ % لمن هم في سن الثامنة عشر. ولقد ظهر هذا التقارب في ردود الفعل على أساس أن موضوع الجنة والنار من المشكلات التي تتعرض لها هذه المستويات الثلاثة من الأعمار، كما أظهرت هذه الدراسة أيضاً، أنه في الوقت الذي يمر فيه بعض الشبان وهم في العقد الثاني من أعمارهم بفترة من الشك والتساؤل حول بعض معتقداهم الدينية التي قد عرفوها من قبل، فإهم سيعودون في النهاية الى معتقداهم السابقة[1].

الأسرة لها الدور الأكبر:

ثم إن للأسرة في بناء المنهجية العقائدية والتربوية والدينية

---

[1] - راجع كتاب المراهق د. نوري الحافظ ص ٢٥.

عند المراهق الدور الفعال، عندما يعطى المراهق فسحة من التفكير والحرية في تعبيره عن الرأي والأفكار، تنمو فيه روح الابتكار والعلم وتتسع الذهنية الفكرية عنده، فتجعله قادراً على مواكبة تطورات الأفكار البناءة في حياته العلمية والعملية، عكس ذلك المراهق الذي يعيش في وسط لا يسمح له بإمرار الأفكار والخواطر على قلبه فضلاً على سلوكياته وحياته العملية، فهو يعيش في ظل أبوين جبروتيين، وتنعكس هذه التربية وذلك القهر الى حالة ومرحلة سلبيةعلى عقلية وذهنية المراهق، فتراه يخرج من مرض نفسي إلا ويقع في ما هو أدهى وأمر من سابقه.

إن بناء شخصية المراهق مرتبطة ببناء تفكيره الفكري والثقافي والعاطفي، وبناء التفكير مرتبط ببناء الفرد ذهنياً وعقلياً وعاطفياً في الأسرة. إن كثيراً من الأسر تنمي في أبنائها روح التفكير الابتكاري والعاطفي والعلمي معاً، فينشأ الفرد وقد أخذ دروساً عملية كثيرة في عملية التفكير الذهني، ولذلك نجد أن كثيراً من العلماء والمفكرين قد كونوا نجاحاً مثالياً في حياة المجتمعات والشعوب، فنجد أن الأسرة كلها قد تحولت الى عناصر تفجر الإبداع في جوانب عديدة، فهذا الابن الأكبر أصبح طبيباً والثاني أصبح عالماً مفكراً والثالث مهندساً والآخر كاتباً بارعاً و... الخ.

يقول بعض الباحثين: (إن عدداً كبيراً من أعلام الأدب والعلم والشعر والسياسة عبر التاريخ قد تمت رعايتهم وتربيتهم وتدريسهم وصقل عقيدهم الراسخة منذ كانوا صغاراً في أسرهم، ولولا تربية الأمهات والآباء لهم في تلك الفترة الحرجة - المراهقة - لما استأهل هؤلاء مكانتهم بين الأعلام مبدعي اليوم والغد.

ثم إن للأسرة دوراً واضحاً في تفكير الطفل الابتكاري من خلال سلوكه في اللعب، ومدى إفساح الأسرة لهذا الطفل في تنمية تفكيره الابتكاري. فالركض والجري واللعب بالعصى وغيرها والتي تبدو للناظر أنها تافهة وعابثة هي أساس تكامل جسد الطفل وروحه.

يقول بعض المتخصصين في هذا الصدد: (إن اللعب يبعث القوة في عضلات الطفل والشاب ويمنح جسم الإنسان المتانة في عظامه، كما أنه ينمي فيه القدرة على الابتكار، ويخرج قابلياته الكامنة الى حيز الفعل والوجدان...)[1].

وهذا ما تؤكده الشريعة السمحاء في أقوال وأفعال الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل البيت(ع) كما أشار

---

[1] - نقلاً عن مجلة العربي العدد ٩٥ ص ٥٩

لهذا حفيد رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) جعفر بن محمد قبل أن يصل علماء الغرب الى هذه النظرية وتلك الحقائق العلميه بقوله: «الغلام يلعب سبع سنين ويتعلم الكتاب سبع سنين ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين».

وعنه أيضاً (ص): «دع ابنك يلعب سبع سنين»[1].

التثقيف الجنسي ضرورة:

في فترة ــــ المراهقة ــــ وفي هذا العمر يمر المراهق بفترة صعبة وحرجة وهي تتبع الفضول وإشباعه القاتل، حيث يأخذه الى معرفة الأمور الصغيرة والكبيرة، سواء كانت تهمه أو لا تهمه، وخصوصاً إذا كانت المعرفة عن عالم الجنس ومفاهيمه ونماذجه وسلوكياته ومظاهره.

يأخذه حب المعرفة لمعرفة كيف تنشأ الرغبة والشهوة في نفسية الإنسان، أين تكمن هذه المشاعر وتلك الأحاسيس والقوى؟ وكيف يستفرغ ما في جعبته وعاطفته الجنسية؟ وهل هذا يريحه جسمياً وعقلياً أم لا، وكثير وكثير من الأسئلة المحيرة والحرجة في هذه الفترة الحرجة من عمر الإنسان المراهق. وتلعب

[1] - راجع البخاري مجلد ٥ ص ١٩٤

هذه التفكيرات والتهوسات والتخرصات، وتلك الرغبة الملحة دوراً رئيسياً في بلورة أفكاره ومفاهيمه، فيركن الى أن ينام وحده، ويفكر بمفرده، ويبحث عما يثير له هذه الجوانب، ويشبع ذلك الفضول المحبب، عندها تبدأ تساؤلات ملحة عن هذه التغيرات الفكرية الذهنية والجسديه التي تنتابه، ومن ثم يبدأ البحث لديه عن إجابات من هنا وهناك، وقد يختلط فكره وثقافته الجنسية ببعض الحقائق والأوهام والخزعبلات الكثيرة فتكون له صورة مليئة بكثير من التغيرات وعلامات الضباب المزعجة.

من هنا كانت الثقافة الجنسية مهمة وملحة في حياة شبابنا وفتياتنا المراهقين بحيث لا يبقى الجنس ومفاهيمه ورؤاه موضوعاً من الممنوعات والمحرمات، مما يسبب خلق مشاكل نفسية وعاطفية وأخلاقية وسلوكية لذى المراهق في المستقبل.

وما تفعله بعض المجتمعات العربية والإسلامية والأسر المسلمة اليوم، من حرمان المراهق من إشباع تساؤلاته الكثيرة، وملء فكره بالثقافة الجنسية المقننة، وتزويده بقدر ممكن من المعلومات، عما يمر به المراهق في هذه الفترة الحرجة وما بعدها من الحياة الزوجية، خطأ فادح لا يغتفر، وإني لأعجب وأتساءل مستنكراً من بعض تصرفات الأسر المتدينة هذا اليوم، بفرض

الحصار والرقابة الجنسية الخارجة عن نطاق الاعتدال والدين والأخلاق، على عقلية الفتاة والشاب حتى لا يتعرفا على منابع الثقافة الجنسية الإسلامية السليمة، فيأخذون في تحريم وتحليل بعض الأمور التي لا يرتئيها الشارع المقدس في فقهنا الإسلامي وعقيدتنا المسلمة، وأخلاق الأنبياء وتعاليم الأئمة عليهم السلام وتوجه العلماء العاملين الربانيين في هذا المجتمع، وقد يصل الأمر ببعض الأسر ـــ في هذا اليوم ـــ ألا يجيز لابنته ولا يسمح لها أن تسأل عما تصنع في ليلة زواجها، وأن يسأل الولد ما ذا يصنع في ليلة زواجه، ما حدود هذه العلاقة الجنسية ومفاهيمها وطرقها بين الزوجين، مما يسبب انعكاسات نفسية وشحنات قلبية ونفور بين الزوجين، وتكون النتيجة التفكك الأسري والطلاق وهي بعد في بدايتها، في مشوار زوجي طويل جداً.

أمي كانت السبب !:

(ق) ... تقول: تقدم شاب لخطبتي وبعد المعاناة من البحث والسؤال عن حياته وسيرته الدينية والاجتماعية، وجدوه مؤهلاً أن يناسبنا، وبعد مضي وقت على خطبتنا كانت والدتي لا تسمح لي أن أختلي به أو أن نجلس لوحدنا لحظات قليلة نتفاهم فيما بيننا لعالم زوجي سعيد أو أن أخرج معه للتتره

والتسوق.. الى أن وصلت الليلة التي اعتبرها في حياتي الزوجية ليلة مشؤومة.. أمسكت أمي بيدي وقالت: ابنتي الغالية هذه الليلة إياك إياك أن تمكني زوجك منك !

قلت لها وقد انتابني الاستغراب: لماذا أماه؟

قالت: حتى تستطيعي أن تمسكي زمامه في حياته الزوجية، ويكون طائعاً لك في كل شيء. !!.

بعد مرور أيام رأيت علامات التغير والنفور على سلوكيات زوجي، حيث تغير أسلوب المعاملة بيننا فأصبحنا كالنار على الرماد، ما أن نتناقش حتى تشتعل النار في وجهه، حتى وصل الحال بيننا الى التعامل الخشن، وبعد فترة لم نستطع العيش سوياً فقرر زوجي الطلاق وحدث ما حدث بيننا، وكان السبب الوحيد أمي ونصائحها المدمرة لحياتي الزوجية!!

هذه واحدة من مئات القصص الواقعية التي تحدث في مجتمعنا الإسلامي اليوم، وعلى صعيد أسرنا المسلمة، وقد تسببت هذه الأخطاء الفادحة في ارتفاع معدل نسب الطلاق والتفكك الأسري، وكل ذلك ناتج من الحصار الثقافي الجنسي من قبل الأمهات والآباء على أفراد أسرهم، ومما يزيد الطين بلة والأمور تعقيداً، تدخل الآباء والأمهات والأخوات والإخوة في شؤون الزوجين، وهذا ما نحن في أمس الحاجة لعلاجه اليوم واجتثاثه من جذوره الأسرية، حتى نحصل

على جيل صالح ذي كفاءة عالية في كافة المستويات والأصعـــدة، وأسر سعيدة تسير نحو حياة أفضل.

ومما يحدث من جراء فرض الحصار على الثقافة الجنسـية في الأسرة، والردود العكسية على صعيد الحياة الزوجية في المستقبل، أن تصاب الفتاة في هذه الفترة الحرجة بعـــدة أمـــراض نفســـية وعاطفية أهمها (ضعف النشوة الجنسية في المرأة).

فقد أثبت العالمان ماسترز وجنســـون ســـنة(١٩٧٠) أن ٩٥%من هذه الحالات ترجع الى أسباب نفسية، وأن ٥% فقـط من هذه الحالات ترجع الى أسباب وأمراض عضوية، في الجـــهاز العصبي، والدورة الدموية واضطراب الغدد الصماء في المرأة.. أي أن الأسباب الرئسيةللفتور الجنسي في المرأة يعود الـــتي التربيـــة الخاطئة التي تلقتها الفتاة في أسرها، والمعلومات المشوشـــة الـــتى تلقتها في ليلة زفافها.. بل إن بعض الأهل يرعبون الفتـــاة مـــن العملية الزوجية،ويشكلون قلقاً داخلياً في أعما قها بكل ما يتصل بالجنس،مما يؤدى في المستقبل الى ضعف إحساسها بالنشوة بعـــد الزواج، وتؤدي هذه الحالة الى التفكك الأسري..

ومن خلال الدراسة الميدانية لـــ(١١٦) حالة من الحالات التى تسببت في عملية الكره الجنسي عند الزوجيـــين خـــلال ٥ سنوات من ســـنة ١٩٧٢ إلى ١٩٧٧ في معـــهد مـــا ســـترز

وجونسون بالولايات المتحدة الأمريكية، تبين أن التصرفات العائلية السيئة، والعنيفة تجاه الجنس للأب أو الأم.. تشكل العامل الرئيسي لإصابة أطفالهم بالكره الجنسي بعد ذلك..وتعود بعض الحالات من البرود الجنسي الى التصرفات الخاطئة بين الزوجين قبل وبعد الزواج، أو النفور بسبب فقدان عامل النظافة في أحدهما إما الزوج أو الزوجة، وكذلك نفس الحالات من مرض الهبوط الجنسى عند الزوجين...[1].

وكيف كان: إن تعامل الأسرة بالتعاليم الإسلامية الصحيحة التي انتدبنا وتعبدنا بها الشارع المقدس، ولاسيما في تثقيف أبنائنا الثقافات الإسلامية المستندة إلى رؤى أهل البيت(ع) تأخذ بأيدينا الى سلم الكمالات المعنوية والمادية والنفسية نحو حياة وأسرة أفضل إن شاء الله تعالى.

وما تصنعه الأسر المسلمة اليوم من أخطاء فادحة ينبغي أن تقف عندها وتراجع نفسها وتعرض نفسها على تعاليم الإسلام الحنيف، ويجب أن تتطور بعقلية الحاضر وتترك عنها التقاليد القديمة التي لاتتصل بنظام الدين والإسلام والأخلاق أصلاً.

---

[1] الطب والجنس ص ٦٥وبعدها

نتائج الكبت والحرمان الجنسي:

بعد أن تقع الأسرة تحت سيطرة الكبت والحرمان، سوف يؤول أمر أفرادها الى الدمار والانحراف والتمرد والاضطرابات النفسية والعلل الجسدية، التي لا علاج لها إلا بالرجوع الى مضامين العقيدة والدين.

وكثير من الناس يعتبر الكبت والحرمان حالة مقدسة تصل بالأسرة الى مرفأ السعادة الحقيقية، وتحافظ بهذا النظام القمعي على سعادتهم واستقامتهم في حياتهم المستقبلية، مع أننا نراهم مصابين بخلط المفاهيم في حياتهم العملية بين مفهوم الكبت ومفهوم العفة، فالبعض يعتبر الحجر على عقلية الأبناء العاطفية والنفسية عاملاً من عوامل استقامة حياتهم في المستقبل، وتحصينهم من الانحراف، حتى يصل الأمر ببعضهم أن لا يسمح لأبنائه بعد اكتمال نضجهم العقلي واكتمالهم الجسدي أن يثقف نفسه بمفاهيم ومبادىء علم الجنس، لأنه بزعمه يخشى على الأبناء أن ينحرفوا عن طريق الصواب والجادة الحسنة..؟

وهذا بطبيعة الحال فادح لأن الأب والأم وحدهما القادران على بلورة أفكار الأبناء حول المفاهيم والتعاليم والمبادىء والقيم.. وعندما يكون الآباء والأمهات قريبين من أبنائهم سوف

تسهل عليهم عملية التثقيف الجنسي، مما يضمن لهم السلامة والاستقامة العقلية والنفسية والجسدية، بعد تعليمهم وتثقيفهم مبادىء العلم والجنس في منظار الإسلام ورؤى أهل البيت عليهم السلام، ولاينبغي أن ينسى الآباء والأمهات أن حجرهم ومنعهم من أن يتزوج كل من الولد والبنت في سن مبكرة يسبب لهم عقداً نفسية وأمراضاً جسمية في المستقبل.

فقد تحدث بعض المتخصصين في هذا المجال بقوله: (إن الاضطرابات العقلية والجنسية التي تنشأ عند المراهقين سببها الأول والأخير الحرمان والكبت الجنسي، وهي كثيرة جداً نذكر على سبيل المثال: اضطرابات النشوة الجنسية وسرعة القذف وظهور الحيض أو تأخره.

والكبت المتواصل يجعل الإنسان المراهق دائماً في حالة توتر، وقد يدفعه هذا العامل وتلك الاضطرابات الى كثير من الحيل اللاشعورية لالتماس شيء من الراحة والهدوء، مثل الإسقاط، فالرجل السريع القدف يلقي باللوم دائماً وأبداً على زوجته التي تثيره بسرعة ولا تتعاون معه في التحكم بالقذف، والسيدة المحرومة جنسياً ولا تستطيع الخلوة مع زوجها لوجود الأطفال بينهما قد تجعل الأطفال دائماً محل سخطها، والتمارض مثل ادعاء الزوج الذي يعاني من ضعف الانتصاب أنه

مريض،وذلك لكي يبتعد عن ممارسة الجنس.

ويختلف الكبت عن الحرمان الجنسي، حيث أن الحرمـــان ينشأ عن الامتناع عن ممارسة الجنس أو عدم الوصـــول الى ذروة اللذة، خاصة بالنسبة للمرأة، أما الكبت فقد يحدث بـــدون أي ممارسة بمجرد كبت الرغبات والميول الجنسية، وهذه الحالة هـــي التي تسبب الحرمان وضمور الحالة النفسية والجنسية عند المراهـــق في حياته المستقبلية..والحرمان الجنسي بالاضافة الى الآثار النفسية يؤدي الى آثار عضوية تتركز أساساً في وجود أعراض الاحتقـــان المزمن بحوض المرأة وفي عضو الرجل وبا لخصوص في الالتهابات المزمنة في البروستات..

وعادة ما ينشأ الكبت الجنسي وما يتبع مـــن انحرافـــات جنسية نتيجة سوء التعامل مع المراهق في فترة المراهقة الحساســـة وخصوصاً في فترة الطفولة [1].. ولا نستطيع أن نضمن ســـلامة المراهق المستقبلية إلا إذا قمنا بعملية الوقاية والإرشـــاد الديـــني، وذلك عن طريق التعليم والتثقيف الجنسي المبســـط، بواســـطة الوالدين والمدرسين والمربين، حتى ينشأ الطفل والمراهق ورغباتهما الجنسية غير مكبوتة، وليس لديهما شعور بالذنب، والتي تـــؤدي

---

[1] - راجع كتاب شبابنا ومشاكلهم الصحية ص ٧٣

بالتالي الى الانحرافات الجنسية والاضطرابات العقلية التي تنشأ عن طريق الكبت الجنسي المتواصل.

الكره الجنسي:

يعرف العلماء الكره الجنسي أنه: هبوط الرغبة الجنسية عند الرجل والمرأة، ولا يعتبره العلماء تغيراً فسيولوجياً في سلوكيات الإنسان، إنما هو مرض مترسب في نفسية المرأة والرجل في آن واحد.

وملخص هذا المرض هو حدوث هلع ورعب واضطراب غير عادي للرجل أو المرأة على السواء عند مجرد الحديث عن الجنس، وقد تزداد درجة هذا الرعب فتؤدي الى ارتفاع ضغط الدم وازدياد ضربات القلب، والعرق الغزير بل وتصل بعض الأحيان الى الغثيان والقيء الحاد.. ونسبة حدوثه تزيد في النساء منها في الرجال، ويعود إلى أسباب مرت على حياة الإنسان فسببت له الاشمئزاز، وقد تصاب المرأة بهذا المرض(الكره الجنسي) لحوادث مرت عليها في فترة المراهقة والحياة الزوجية معاً، كأن تعيش الفتاة في ظل أسرة متزمتة دينياً فتحجر على عقليتها الفكرية من التعرض لأمها أو لأبيها عن ماهية علم الجنس، أو

أن تعيش الفتاة المراهقة في أسرة وتحت ظل أب جبروتي التعامل مع الأسرة، فترى كيف يتعامل الأب مع الأم بشراسة وشراهة فتنعكس هذه المعاملة على عقليتها، فتصاب بحالة من الكره الجنسي تجاه أي رجل في حياتها، وكثيراً ما نرى في مجتمعنا مرض الكره الجنسي الذي تصاب به الفتيات في سن مبكرة من حيلهن الزوجية، وكل ذلك عائد الى الأسباب المذكورة آنفاً.

وقد تصاب المرأة بهذا المرض أيضاً من جراء حادث مؤلم مر عليها، كأن تفقد زوجها فتموت الرغبة الجنسية في شخصها، فلا تفكر بعد بها إلا بعد مرور أعوام طويلة على وفاة زوجها، ومنهن من يصبن في هذه المرحلة بسبب هذا المصاب الفادح بالكره الدائم، ومنهن من يعاودهن التفكير في الرغبة الجنسية بعد أعوام قليلة...

أسبابه وعلاجه:

بالدراسة الميدانية لـ (١١٦) حالة من حالات الكره الجنسي خلال ٥ سنوات من سنة ١٩٧٢ الى ١٩٧٧ في معهد ماسترز وجوسن بالولايات المتحدة الامريكية، تبين أن التصرفات العائلية السيئة، والعنيفة تجاه الجنس للأب أو الأم تشكل العامل الرئيسي

لإصابة أطفالهم بالكره الجنسي بعد ذلك. فبعض هؤلاء المرضى تعرضوا في طفولتهم الى صدمات جنسية حادة مثل الاغتصاب، أو علاقة المحارم.. وللأسف كان تصرف أهاليهم، أسوأ بكثير من تأثير الصدمة الجنسية التي تعرضوا لها في طفولتهم..

وعلى سبيل المثال كانت هناك امرأة تعالج من الكره الجنسي في هذا المعهد، وبعد البحث عن السبب تبين أن والدتها كانت ترسل لها قصاصات الجرائد التي تصف اغتصاب الفتيات والاعتداءات الجنسية، بصفة مستمرة طوال فترة دراستها في المدرسة، وفي الجامعة، بل ظلت ترسل لها هذه القصاصات حتى تزوجت الفتاة، وكان من الطبيعي أن تصاب بكره جنسي حاد بعد الزواج.

وفي بعض الأحيان ــ كما يقول أطباء الاختصاص في هذا الموضوع ــ يجدون أن الكره الجنسي متعلق ومرتبط بشكل المريض نفسه أو بضعف قوته الإرادية، او بالاثنين معاً، وذلك يحدث بالذات في سن المراهقة، فقد يلاحظ الشاب تضخماً في الثديين يسبب له خجلاً شديداً.. أو تعاني الفتاة المراهقة من نسبة زائدة من الشعر الكثيف الذي يغطي جسمها، أو من صغر حجم الثديين، أو من الإصابة بحب الشباب الذي يهدد بشرتها.. كل هذه العوامل تؤثر في الفتاة تأثيراً نفسياً، قد يترسب ويؤدى الى الكره

الجنسي.

وقد يحدث الكره الجنسي أيضاً نتيجة العلاقة الجنسية المؤلمة التي تحدث في ليلة الزفاف، والتي تربط الجنس بالألم، وقد يكون الكره الجنسي ناتجاً عن كره الحمل وما يترتب عليه من معاناة فيترتب على ذلك عقد جنسية ونفسية، وقد تلعب التصرفات الجنسية الخاطئة من الزوجين دوراً رئيسياً في وجود الكره الجنسي، وغالباً ما توسم هذه التصرفات بالهوجاء الغير مدروسة وغيرها من الأسباب والعلل..

وعزا بعض العلماء أسباب الكره الجنسي أو الهبوط في الرغبة الجنسية الى عقد نفسية تنشأ في جو الأسرة بسبب الحرمان والكبت وعدم الزواج المبكر، ومن المؤكد أن المفاهيم التربوية والدينية الخاطئة، هي التي تكون عقدة الذنب في الحياة الجنسية، مما يؤدي في المستقبل الى ضعف شخصية الإنسان، الذي ليس من المعقول أن يمارس حياته اليومية بطريقة سوية.

وقد أثبت العالم كابلان سنة ١٩٧٧م أن هؤلاء المرضى أكثر عناداً وأصعب فهماً من مرضى الضعف الجنسي في الرجال والتقلص العضلي في النساء.

ولذلك فإن علاجهم أكثر صعوبة لأن استجابتهم للتفهم تكون شبه منعدمة. ومن الواضح أثر التوتر العصبي في الحياة

اليومية على الرغبة الجنسية.. فمثلاً هذا الرجل الذي فصل من وظيفته ويفكر في طريقة يواجه بها الحياة، أو الأم التي يعاني طفلها الوحيد من مرض خطير، أو العجز المادي أمام متطلبات الحياة.. كل هذه العوامل تضعف الرغبة الجنسية.

وقد ثبت أخيراً علمياً أن نقص الهرمونات الجنسية في الدم نتيجة تلك الألوان من التوتر[1].

أما العلاج فهو يتلخص فيما يلي:

يقول العلماء المتخصصون في هذا المجال: لا يمكن علاج الكره الجنسي قبل التشخيص السليم لأسبابه، فإن كان هناك مرض عضوي يسبب ألماً عند الاتصال الجنسي، فيركز العلاج نحو شفاء هذا المرض، إلا أن الصعوبة الحقيقية في العلاج تكون عند تشخيص الحالة بأنها ترسبات نفسية وعقدة متأصلة. وفي هذه الحاله يجب مراعاة عنصرين هامين لنجاح العلاج:

١ ـــ تحديد العقدة الجنسية بالتفصيل.

٢ ـــ رغبة المريض الفعلية في الشفاء واستجابته للعلاج.

وهنا يجب أن نشير إلى أن العديد من المرضى المصابين

---

(١) ـــ الطب والجنس ص ٧١.

بالكره الجنسي يعلم تماماً أن الاتصال الجنسي متعة كبيرة... فيحتاج هؤلاء الى العديدمن الجلسات العلاجية، وتكثيف التربية الدينية، وخلق السلوكيات العملية في شخصياتهم، حتى يتسنى لنا جميعاً أن نأخذ بأيديهم نحوحياة أفضل إن شاء الله تعالى.

وإنني أرى أن العلاج الوحيد لهذه الأمراض الفتاكة أن يعود المرضى الى مبادئ الدين الحنيف وتعاليم الإسلام الصحيحة التي أكدت عليها تعاليم أهل البيت(ع) .

التثقيف بلاحدود خطرفادح:

ليس ما تقدم دعوة للانفتاح بلاحدود وبلا ضوابط، كلا إنما هو استعراض لبعض الأمراض الاجتماعية والعاطفية، التي تعيشها كثير من الأسر المسلمة المتزمتة اليوم في عالم التقدم والحضارة والانفتاح المعقول..إنني أدعو الآباء والأمهات والأسر إلى التثقيف الجنسي والتربوي والديني والعقائدي المعقول، الذي يقدم مستقبلاً منهجاً وظائفياً للأبناء في حياتهم الصحية والعلمية معاً..وينبغي أن تكون ثقافتنا الجنسية إسلامية بحتة في ضوء المبادئ والتقاليد والعادات و الضوابط الحسنة، التي أمرنا بها الشارع المقدس، وحث عليها الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم). وأهل

البيت(ع)، والابتعاد عن الكبت والحرمان والرقابة الزائدة، التي تسبب للأبناء الأمراض الجسمية والعقد النفسية في المستقبل..

إن تربية المراهقين في وسط الأسرة، بحاجة للارتكاز على قواعد ومبادئ ينطلقون منها الى عالم أفضل، وتنظيم شؤون حياتهم العلمية والعملية..

ونحن الشعوب المسلمة، ينبغي أن تكون ثقافتنا وتربيتنا لأبنائنا المراهقين، وفق مناهج سماوية رصينة، ووفق معايير ومبادئ وتعاليم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، والعلماء رضوان الله تعالى عليهم، ومن لم يعجبه المنهج الإسلامي، ولم يوافق أفكاره وأهواءه الناشئة في الأوساط التربوية المنعزلة عن المبدأ السليم ليس له سعادة في حياته قط.

ثم إن العلاقات الأسرية وتربية الأولاد وتكوين أسرة، ليست مرحلة عشوائية مؤقتة ومؤطرة بحدود الزمان والمكان، وليست أيضاً مجرد تجربة وتسلية، بل هدف ومسؤولية، إن الإسلام الحنيف - أيها القارئ - أعطى لهذه القضية - قضية تكوين الأسرة وتربية الجيل المراهق والأولاد - أهمية كبرى في الحياة وفي منظار الدين وتعاليمه الحقة.

يقول الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم): (بحسن العشره تدوم

الصلة)[1].

وقال رجل للنبي(صلى الله عليه وآله وسلم): (أحب أن يرحمني ربي).

قال: ارحم نفسك، وارحم خلق الله، يرحمك الله أيضاً)[2].

إ ن ديمومة العلاقات وتوطيدها، واستمرارية العشرة الحسنة، ونزول الرحمة الإلهية على الأسرة والمجتمع والحياة برمتها، تتحقق عبر ما حدده الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) في الأحاديث السابقة.

ولأن هذا المنظار وتلك التعاليم لها أهمية كبرى في نظر النبي فإنه إذا لم تراعى الضوابط المقررة شرعاً وعقلاً وعرفاً لانستطيع أن نقود الأسرة وجيلها المراهق إلى مرفأ السعادة والطمأنينة والكرامة والفضيلة الدائمة.

إذاً: لا بد من التثقيف الجنسي للأسرة، على ضوء المنهج الإسلامي، بدون تعقيد وبدون انفتاح مفرط، وبعيداً عن الإجبلو والتزمت الفكري والتربوي في حياة المراهق، حتى نستطيع أن نحدث انعطافة كبرى في حياة شبابنا وفتياتنا المراهقين، ونجعلهم نماذج وأسوات حسنة للجيل الصاعد، لا بد من الرجوع الى

---

(1) - غرر الحكم مجلد ١ ص ٣٣٣ .

(2) - كنز العمال مجلد ١٦ ص ١٢٨ ح ٤٤١٥٤.

مضامين العقيدة الإسلامية وفكرها المتميز، ولايجوز أن ننسى أنه أردنا أو لم نرد ـــ فإن أطفالنا وشبابنا وفتياتنا سيعرفون الجنس على حقيقته في المستقبل.. لأنه شيء لا نستطيع أن نمنعهم منه، ولكن بطبيعة الحال نستطيع أن نتدخل في تحديده وتوضيحه وتقويمه. لذلك فهم يتعلمون من الآباء والأمهات معنى الحب، والحنان والعاطفة، والصفات الأخلاقية الأخرى عن طريق التقييم والحوار والمثاقفة، والإجابات السليمة على كافة الأسئلة التي تدور في عقلية المراهق داخل الأسرة وخارجها.

يقول بعض الباحثين: أما إذا تركنا المراهقين يعرفون الحقائق الجنسية بمفردهم، من أمثالهم الذين يلعبون معهم في المدارس أو النوادي أو الشوارع، فقد نعرض أبناءنا لحقائق مشوهة، ولعادات كريهة تجعلهم يفقدون الصلة بيننا كأهل لهم، وكذلك بمدرسيهم كقدوة يجب أن يقتدوا بها.

ولقد تبين أن الأطفال والمراهقين يحددون مشاعرهم ومواقفهم تجاه الجنس في خلال السنوات الست الأولى من عمرهم.. ولذلك نجد أن معظم الآباء والأمهات يعطون الأطفال والمراهقين معلومات ثقافية عن الجنس بعد فوات الأوان، وبعد أن يكون قد انطبع في مخيلتهم الأولى ما أصبح شبه عقيدة راسخة قد لا تتغير، وقد يكون الأهل معذورين لأنهم لا يتخيلون مثل هذا

السن المبكر الذي تتحدد فيه أفكار الطفل الجنسية.. ووجد أن الست سنوات التالية للطفل أي من سن ٦ - ١٢ سنة تتحدد فيها المثاليات الجنسية داخل نفسيته،وتعتبر أيضاً فترة خطيرة.

أما الست سنوات التالية من سن ١٢ - ١٨ سنة فتحدد العادات الجنسية لهذا المراهق التي قد نجد صعوبة كبيرة في تغيير مسارها إذا كانت عادات سيئة أو عادات غير صحيحة أو خاطئة.

وقد يكون جهل الآباء أو الأمهات أو تعمدهم في إخفاء الحقائق الجنسية عن أطفالهم أحد الأسباب التي تضعف الثقة بين الطفل وأسرته، وتشد هذا الطفل الى معرفة خاطئة وسلوك غير سوي من أولاد أكبر منه سناً، يحدثونه عما يعرفون من حقائق مشوشة عن الجنس.

الثقافة الجنسية للمراهقين:

أثناء البلوغ والمراهقة لا يكف الأولاد والبنات عن الأسئلة الجنسية المحرجة، وفي مثل هذه الحالة نعلمهم ما نعرفه عن الجنس في نظر الإسلام وتعاليم أهل البيت(ع)، ونعلمهم من الأبعاد الجنسية والخلفيات الأخلاقية عن نظام ضبط الغرائز والشهوات،

ما يعود عليهم بثمرة عملية في حياهم المستقبلية، إن معظم الأسئلة الصادرة من المراهقين في هذه المرحلة، تدور حول الأخطاء والصواب تجاه عالم الجنس والثقافة، والمشكلة التي يواجهها المراهق في هذه الفترة الخطيرة والحرجة، هي ممارسة العادات الخاطئة جنسياً ودينياً وفكرياً.

ومما تبينه الإحصائيات الرسمية أن ٩٩% من المراهقين في هذه الفترة يمارسون هذه العادات السيئة من الجنس الخاطئ، بسبب فقدان الثقافة الهادفة(الجنسية الدينية) في حياة المراهق في ظل الأسرة.

وقد حاول علماء النفس والأطباء المتخصصون في هذا المجال محاربة ومعالجة العادات الجنسية الخاطئة في المراهقين... وأخطأوا جميعاً للأسف، بل وكان الضرر النفسي الواقع لهؤلاء المراهقين، أخطر من الضرر الذي تسببه ممارسة العادات الخاطئة في حياهم، ولو رجعنا لتعاليم الدين الحنيف لوجدناها تحارب وبشدة هذه العادات الضارة في حياة المراهق، لأها تعتبر هذه العادات إهداراً للقوة التي أعطاها الله لنا لأغراض معينة، وأن الجنس علاقة مقدسة أراد الله ها أن يستمر وجود الإنسان على الأرض، وأن الله خلق الجنس ليس لمتعة البشر فقط، وإنما ليحفظ على الإنسان نسله كي لا ينقرض هذا النسل.

فالجنس في ضوء الإسلام والأخلاق وتعاليم الدين الحنيف مرتبط بالزواج والعائلة والنسل، ولذلك هنا تكمن أهمية مسؤولية التثقيف الجنسي في ظل الأسرة، مع مراعاة الضوابط والقيود والتقاليد، والأعراف والأخلاق الإسلامية، والقواعد الشرعية في عقلية الشاب المراهق، في ظل الأسرة المسلمة اليوم، كما لا ننسى أهمية الدور الذي يقع على كاهل المدرسين داخل المدرسة، والمجتمع مع بعضه في ظل الحياة الاجتماعية، فبالحب والرأفة ولين الجانب والمثاقفة الحسنة، نستطيع أن نعبر بالمراهق هذه المرحلة الحرجة في حياته، الى سلم الكمالات.

يقول الإمام علي(ع): (لو كنا لا نرجو جنةً ولانخشى ناراً ولاثواباً وعقاباً لكان ينبغي أن نُطلب بمكارم الأخلاق فإنها مما تدُل على سبيل النجاح)[1].

والمتفق عليه عند أرباب العقول، أن الأم هي المسؤولة الأولى عن التربية الجنسية والعاطفية، وتنمية المواهب والإبداعات الفكرية والعلمية، لأن الطفل أشد التصاقاً بها منه بأبيه، وأشد صراحة معها منه، ولهذا يلزم من هذه الناحية اختيار الأم الفاضلة.

---

(1) - نهج البلاغةص٧٦.

وقد يرغب الطفل أن يسأل أمه هل هناك فرق بين جسمه وجسم أخته؟ فإذا سألها فهي رغبة بريئة لا يعاقب عليها. كما أن على الآباء أن يسارعوا في تربية أطفالهم من الناحية الجنسية، ومعرفة الخير منها والشر، فإن حضارة العصر الحديث بما فيه من صحف وصور وأفلام سينمائية ومناظر مثيرة، تشعل الأحاسيس الجنسية الجياشة في سن مبكرة، ولذا كان لزاماً على الوالدين البدء بتربية الطفل في سن مبكرة جداً، وقبل أن يتلقى الطفل دروساً مزيفة، وقبل أن يبدأ التفكير فيها ويكبتها خوفاً من عقاب الوالدين.

ويتحدث العلماء حول السن التي تبدأ فيها المشاعر والأحاسيس الجنسية لدى الطفل، فهناك من يرى أن الوعي الجنسي للطفل يبدأ منذ رضاعته، حينما يأخد ثدي الأم في فمه، وحينما تضع خدها على خده، أو ينام في حضنها.. والمهم في الواقع هو طريقة تربية الطفل، والأسلوب والضوابط التي يضعها الأهل للطفل في سنوات الطفولة الأولى، ضد أي تصرف سيء يقوم به الطفل من كلمة أو حركة، فهذه الضوابط تقلل كثيراً من المشكلات التي يتعرض لها في سن المراهقه..

وفي السنوات الأولى من حياة الطفل يكون فضولياً حول الجنس، ولكنه أيضاً يكون تلقائياً، ويسأل عن كل ما يطرأ

بباله.. مثلاً من أين يأتي الأطفال؟ العلاقة بين الرجـــل والمــرأة؟ ولكن مع بداية دخوله مرحلة المراهقه يكون قد أصبح على وعــي بالجنس، ويخجل من السؤال أو الحديث عنه، ومعلوماته أصبحت أكثر، وهذا الخجل نجده أيضاً لدى الأهل، فهم يحســـون بنمـــو الطفل الجنسي والذهني، واقترابه من الدخول إلى عالم الجنس...

والحقيقة أن الطفل سوف يتعلم حقائق الجنس آجـــــلاً أم عاجلاً. فمن الأفضل أن يتلقاها عن أب وأم عــــاقلين مثقفــين، يقدمان له الحقيقة بصورة بسيطة بالتدريج، فينمو الطفل وقـــــد كون فكرة نظيفة عن الجنس منذ صغره.

وهذا أحسن وأفضل بكثير من أن يلقن هذه المبادئ عــــن زميل له في المدرسة، أو من خادمة تقدم له الحقـــــائق الجنســـية بصورة مشوهة، وقد ينعكس هذا على حياته عندمـــــا يشـــب، فالفتى أو الفتاة المنحرفان قد يكونان ضحية تعليم خـــاطئ مـــن معلم جاهل، فلا تضطر ابنك للشراب من ماء ملوث، طالما كـلن هناك مصدر للماء النقي – هو أنتَ أيها الأب وأنتِ أيتها الأم.

وأخيراً بعد أن عرفت ما مر، عليك أن تعرف أن الديـــــن الإسلامي وقواعده وتعاليمه تجعل المسكن هو المســــؤول الأول والأخير، عن حصانة عقلية الشاب المراهق، وعن بلورة ثقافتـــــه العامة والجنسية بالخصوص، وعن خلق روح الأخلاق وتكملـــــة

السلوكيات، ولذلك لا يمكن أن يكون المسكن بهذه المثابة من التحصين والعلم والتهذيب، إلا إذا انعكست هذه التعاليم الإسلامية والقرآنية والسلوكية، على الأسرة بشكل عام، وعلى عقلية المراهقين بشكل خاص، وقد جعل سياجها وحصنها الاستقرار والأمن، وبث الأخلاق، والالتزام بالنظام والقواعد والمبادئ والقيم..

وفرض الله سبحانه وتعالى أقصى العقوبات، على من يتجاوز هذه النظم وتلك المبادئ والتعاليم، وقد اختار القرآن الكريم أصعب العقوبات على من ينوي هدم كيان الأسرة المسلمة، بعقليته وفكره وسلوكياته السخيفة وجرها نحو الهاوية.

وقد تطرق سبحانه وتعالى في سورة(النور) لهذه العقوبات، ووضع لها العلاجات الشافية، وأوجد لها الحلول، مؤكداً على ضرورة إيجاد تحصين ثقافي جنسي وتربوي وعقائدي، وفرض قانون الرقابة الدائمة، حتى يتسنى لنا جميعاً خلق جيل قادر على إصلاح الأرض بمن عليها، جيل ينشد الحق، والحرية، والكرامة، والعدل والإحسان، والأخلاق والتعاليم..

إن من الضروري أن نربي أطفالنا من نعومة أظفارهم على ممارسة السلوك المهذب، من الصدق والحب والإحسان والأخلاق الحسنة للآخرين، وزرع بذور الإيمان والعبادة والالتزام

بنظام الإسلام باعتبارها من الصفات الشريفة التي تنعم بها الأسر والمجتمعات الإسلامية.

وهنا لا يتسع المجال لذكر الكثير من النصائح والإرشادات، ولكن - ما لا يدرك كله لا يترك جله - ولا يسقط الميسور بالمعسور - كما يقول العلماء - في قواعدهم.

نأخد في هذه العجالة بعض التوصيات المهمة للآباء والأمهات:

يقول بعض الباحثين المتخصصين في شؤون التربية أنه لابد من مراعاة بعض القواعد والآداب، التي تعتبر كمنهج أساسي نحو تربية سليمة وحياة أفضل وسعادة دائمة. منها ما يلي: -

١ - الابتعاد عن أساليب القسوة:

أكد العلماء على ضرورة الابتعاد عن أساليب القسوة والعنف داخل الأسرة سواء كان مع الكبار أو الصغار، فإن القسوة الصادرة من المربي في ظل الأسرة، تسبب النفور والابتعاد عن الأساليب الحسنة، والسلوكيات المحببة، والاستقامة المستقبلية للأبناء.

يقول الدكتور فاخر: إن القسوة المفرطة تحرم الطفل من حقه الطبيعي في الحب والعطف والحنان، والإنسان كما هو

معلوم قد فطر محتاجاً لأن يحب ويُحب، وكل من لا يتيسر له الحصول على هاتين الحاجتين يشعر بالنقص ويفقد الاتزان العقلي والهدوء العاطفي، وقد دلت الإحصائيات على أن عدداً كبيراً من المجرمين ينتمون إلى بيوت كانت القسوة فيهم هي القانون المعول عليه، وكان الضرب وإلحاق الأذى هو الوسيلة التربوية...

وقد تبين أن أكثر التلاميذ المتمردين على أساتذهم، هم الذين لم تسلم جلودهم وظهورهم من الضرب، سواء من قبل الأم أو الأب. بينما ثبت العكس تماماً، أن كل المطيعين هم أولئك الأطفال الذين لم يمارس في حقهم الضرب.

وليس هذا يعني أن أنهى الآباء والأمهات عن عملية الضرب المقننة، مع أننا نجد أن الشارع المقدس يأمر بالضرب الغير مبرح والمؤذي، كما جاء ذلك في كتاب الوسائل باب تربية الأولاد، وقد رأيت أن أكثر من استطاع أن يحصل على الكمال المستقبلي، هم الذين تلقوا تربيتهم ورعايتهم في ظل أبوين كانا يستخدمان الضرب كوسيلة للتأدب، وإنني على خلاف مع من يقول أن الضرب في ظل الأسرة للتأدب السلوكي مضرة ومفسدة، إلا أن يكون ذلك خارجاً عن نطاق الضرب المقنن.

وقد يسأل كثير من الآباء والأمهات ما هو الحل مع الطفل المشاكس؟

الجواب: يتلخص ببساطة ببعض أساليب التربية الإسلامية الصحيحة التي أمرنا بها الشارع المقدس، والرسول وأهل البيت(ع) والعلماء(رضوان الله عليهم). من هذه الأمور أن تكون تربية الأولاد من نعومة أظفارهم وتهذيب سلوكياتهم وتقويم فكرهم وتحصينه بالثقافة الإسلامية الصحيحة قبل أن يشتد عوده فيصبح مشاكساً فعند ذلك لا علاج.

يقول الامام على لابنه الحسن عليه السلام:(فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك...)

ويختار الآباء في بعض الأحيان في أن يستخدموا أساليب الهجران وحالة الزعل منهم لأبنائهم المشاكسين، حتى يشعر الابن المشاكس بأن مسيرته الفكرية والسلوكية خطأ ينبغي أن يقلع عنه ويرجع إلى الصواب، والإصغاء لتوجيهات الأم والأب، ويعجبني كثيراً بعض الأساليب التي يستخدمها كثير من العلماء في تربيتهم لأبنائهم، ولاسيما أساليب المقاطعة، فهذا عالم من علمائنا الفضلاء له من الأولاد ما يقارب(٢٥) بين ذكر وأنثى، وله معهم جلسات في كل أسبوع مرة، فإن رأى في بعضهم اعوجاجاً فكرياً وانحرافاً سلوكياً أمر أولاده جميعاً بمقاطعته وهجرانه، مما يضطره إلى العزوف عن فكره وسلوكياته الخاطئة ويعود إلى صوابه.

الحسن ابناً لي فقال: لا تضربه واهجره ولا تطل)(١).

مساوى الضرب:

وعندما نقرأ الكتب والصحف ونشاهد الإعلان كيف يتحدث عن مساوئ الضرب ونتائجه المذهلة، يقف عقل الإنسان متفكرا ماهو السبيل الأمثل لتربية أفضل، والأسرة تنعم بفيض السعادة الدائمة؟

والجواب ببساطة وسهولة، إنني أعتقد أن كل أسرة متدينة تطبق أحكام الله وتتعامل بمناهجه، وتسير وفق أوامر الأنبياء وتعاليم أهل البيت النبوي وتوجيهات العلماء(رض) تصل إلى غايتها الحقيقية.وهنا سوف أسرد لك بعض القصص الواقعية عن مساوئ الضرب في ظل الأسرة:

١-الطفلة(س).. عمرها ١١ عاما.. دأبت هذه الطفلة على أن تلح على أمها لتأتي يوميا إلى المدرسة وتعود بها إلى المترل، ولكن الأم أصرت على أنها يجب أن تركب تكسي في الأيام التي تحول مشاغل الأم دون ذهابها أي الأم إلى المدرسة لإحضارها، وذات مرة ثارت الطفلة(س) بعد هذه المحاولات المعتادة ثورة شديدة ثم رمقت أمها بنظرة ملؤها

---

(١) - بحار الانوار مجلد و٢٣ ص ١١٤

لإحضارها، وذات مرة ثارت الطفلة(س) بعد هذه المحـــاولات المعتادة ثورة شديدة ثم رمقت أمها بنظرة ملؤها الحقد والمـــرارة وصرخت فيها قائلة: اسمعي إنني أكرهك لأنك لم تحبيني مطلقـــاً، إنك لم تصنعي لي أي شيء، وكنت معي باســـتمرار ســـاخرة وعنيفة.

قالت الأم لإحدى جاراتها:لقد صدمتني عبارات ابنتي لأول وهلة، وشعرت بالألم والحسرة والضيق، ولكن الذكريات تتابعت وجاءت في خاطري، وذكرت عهد الطفولـــة، طفولـــة ابنـــتي ومشاجراتي مع أبيها دائماً بشأن أمورنا المادية والمعاشية، تذكرت كذلك أني كنت أعالج شؤونها بدون وعي في كثير من الأحيـان، إنني أذكر كم غضبت مني وأنا أعاقبها بالتعنيف، وأذكر أننا كنـا نقوم بضربها لتقلع عن طباعها السيئة المتقلبة، وها أنا أرى أنهـــا مازالت تحتفظ باستيائها مني وكرهها لي، وأن غضبها ازداد بعـد ذلك لعدم ذهابي لإحضارها من المدرسة، فأضافت هذا الغضـــب إلى غضبها الدفين الذي كان مصدره أنني كنت أعالجها بالضرب بدلاً من التوجيه والتأديب.

٢ - كان أحد الآباء يمسك بتلابيب ابنه وقد أشبعه ضربـاً باليمين و لم يتركه لولا تدخل الحاضرين وإنقاذ الولد.

بعد أن هدأت فورة الأب، قلت له سائلاً:

لماذا كل هذا الضرب؟

قال: لأن ولدي اعتدى على أحد الرجال.

قلت: ولماذا اعتدى؟

قال باقتضاب: لأنه شيطان

قلت بعد أن اعتذرت عن توالي الأسئلة:

وما هو السبب الذي جعل منه شيطاناً هكذا؟

ثم أضفت قائلاً بصراحة بعد أن صمت الأب حائراً:

في تصوري أن السبب يرجع لتقصير في التربية، أليس كذلك؟.

قال: لا.. لقد كنت أضربه كثيراً ومنذ صغره ولكنه كان يزداد سوءاً يوماً بعد يوم.

٣ - ومن الأمور التي تحدث في مجتمعنا، وهي كثيرة لا حصر لها على الإطلاق، في سوء التربية والتعامل بالضرب والإهانة، ما نقل لي أحد الثقاة: كان له ولد يبلغ من العمر (١٠ سنوات)، وبعد أن رأى منه تصرفات سيئة، لم يعالجها باللين والتودد والكلمات الطيبة، إنما انهال عليه ضرباً مبرحاً حتى كسر منه بعض أعضائه، والأدهى والأمر من هذا أنه في المرة الأخيرة عمد إلى أصابعه وحرقها بالنار، وكانت النتيجة أن أصيب الطفل بعقد نفسية وعاهات جسدية، وكل ذلك من جراء التعامل

الخشن من الآباء والأمهات في ظل الأسرة.

٤ - وقبل سنوات تناقلت ألسن المجتمع فادحة كبرى يندى لها الجبين، ويقف عندها فكر الإنسان المؤمن حائراً مستغرباً، كيف وصل الآباء بتصرفاتهم الهوجاء إلى هذا الحد؟!!

مر أحد الرجال الأفاضل علماً وعملاً وتقوى، على رجل أمسك بيد ولده يقوده إلى عين غزيرة الماء وهو يريد أن يرميه بها حتى يغيبه للأبدن، وقد أمسك بيده اليمنى عصى وهو ينهال عليه بها ضرباً وشتماً.

قال له الرجل المؤمن: ما تصنع بهذا الولد؟

فقال: إنه ولد سيء الأخلاق.

أجاب: إنك تزيد الطين بلة وتضع على النار زيتاً، وإنك تفسد أكثر مما تصلح، وبتصرفك هذا لا يرتدع الولد قط، فأجابه: ما دخلك أنت؟ !!

قال له: تصرفك الأهوج الخارج عن نطاق الدين والأخلاق حضني أن آمرك بالمعرف وأنهاك عن المنكر.

عندها سكت الرجل في صمت وهدوء، ونكس رأسه حياءً وقاد ابنه إلى المترل، وبعد مرور أيام على الحادثة سمعت بأن الولد يرقد في المستشفى مريضاً؟

هذه بعض القصص الواقعية المأساوية التي يعيشها كثير من

الأبناء في ظل الأسر الإرهابية، وإن كان هناك الآلاف من القصص التي تبين لك فوادح التربية داخل الأسر، ومن راجع المصادر الأخلاقية والتربوية يرى ذلك واضحاً.

يقول بعض المتخصصين: هناك آباء وأمهات مستبدون لا يتمالكون أنفسهم من الإساءة والضرب. وفي هذه الصورة لا تكون بعض العقوبات البدنية مضرة بمقدار ضرر بعض التشديد بالنسبة إلى الطفل. إن الحبس في الغرفة أو النظر إلى الجدار من دون أن يجرأ على القيام بحركة صغيرة، تحطم القابلية على التحمل عند الطفل.

مما يثير الدهشة أن هناك بعض الأولياء يصبون طعام الطفل بما يشبه طعام الحيوانات... أو يقوم بعضهم بالبصاق في وجه الطفل أو يعريه في الشارع أو يضربه على وجهه أو ينهره أمام الآخرين، هؤلاء الأطفال تتحطم أعصابهم وتصبح أفعالهم خالية من التروي والتفكير، وغالباً يؤدي هم نحو النفور والانحراف والجريمة..(راجع موسوعة علم النفس ج١ص٩٨).

فمن الضروري أن تكون إدارة الأسرة قائمة على العقل والدراية والإنصاف والعدالة، والى هذا المضمار يشير الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) في تعاليمه التربوية المثالية بقوله: (ما من

بيت ليس فيه شيء من الحكمة، إلا كان خراباً)[1].

٢ – الابتعاد عن أساليب الليونة المفرطة:

عندما يؤكد الإسلام في بنوده التربوية ونواهيه الشرعية عن أساليب القسوة والضرب في ظل الأسرة فإنه أيضاً يؤكد وينهى عن أساليب الميوعة المفرطة، فإن الطفل تمر عليه حالات يكون فيها بحاجة ماسة إلى من يعلمه ويهذبه وينهاه عن بعض الأمور، بحاجة إلى من يؤنبه على خطئه ويحاسبه على ذنبه.. ويمتدحه على أخلاقه الحسنة وتصرفاته اللائقة، ويشجعه على تطوير كفاءته العقلية والفكرية والمهنية، فيخطيء كثير من الآباء والأمهات الذين يعتقدون أن أساليب الليونة المفرطة والدلال الزائد عامل من عوامل التربية الصحيحة، بينما هي من الفوادح الكبرى في حياة الأسرة والطفل مما يعود عليه بالخسران في المستقبل.

يقول بعض المتخصصين: ينبغي للأبوين في تربيتهما لأطفالهما أن يبتعدا عن الليونة المفرطة، فإنها لا تقل خطراً عن القسوة، فإن الطفل كغيره في حاجة إلى من يبين له الصواب من الخطأ، فيمدحه إذا أحسن وأتى بخير، وينتقده ويذمه إذا اقترف سيئة أو ذنباً، أما الليونة والغض عما يرتكبه من الأخطاء فذلك

---

(١) – راجع الطفل بين الوراثة والتربية مجلد ١ ص ٣٩٨.

يعوده على ارتكاب الآثام والانغماس في الرذائل.

إن الأم التي ترخي العنان لأولادها وتتميع معهم فإنها تضر بذلك أولادها أنفسهم[1].

ومما أذكره حادثة مروعة مرت على حياة مجتمعنا، وكان السبب الأول والأخير فيها الميوعة المفرطة، وغض الطرف عن تصرفات الولد السيئة، وكانت النتيجة أن أصبح الولد مجرماً محترفاً على صغر سنه، بالإضافة إلى مئات الجرائم التي ارتكبها من سرقة واغتصاب... حادثة قتل مروع، وكان السبب في ذلك غض الأم عن تصرفات ولدها الهوجاء والدلال المفرط!.

وفي مجتمعنا الكثير من القصص والحوادث المروعة على غرار هذه الحادثة، إن الجيل الناشيء اليوم والمتمرد على أوامر الله ومفاهيم الدين وتقاليد المجتمع وأعرافه، إنما وصل إلى ذلك كله بسبب الميوعة المفرطة والدلال الزائد في ظل الأسرة المسلمة، وكل ذلك عندما يتعارض رأي الزوج وزوجته في أمر تأديب الأولاد فتضطر الأم إلى تبرير أفعال ابنها الخاطئة، وتحاول بكل ما أوتيت من قوة أن تتعارك مع زوجها، من أجل أن لا يتفاهم معه أو يلومه على تصرفاته السيئة.

---

(1) - راجع نظام الأسرة في الإسلام ص ١٣٦

من هنا ينبغي على الأبوين أن يغرسا في طفلهما العادات الحسنة، التي توجد الشخصية المثالية في حياة المجتمع. ومن تلك العادات الحسنة: الابتعاد عن التهور والزهو والخنوع، والصمود أمام الأزمات والشدائد، وغرس الدين الإسلامي بمفاهيمه العميقة والأخلاقية والفكرية في حياته.

يقول الامام علي(ع) (إنكم إلى اكتساب الأدب أحوج منكم إلى اكتساب الفضة والذهب) ويقول: (إن خير من ورث الآباء لأبنائهم الأدب لا المال) ويقول الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم): (لأن يؤدب أحدكم ولداً خير له من أن يتصدق بنصف صاع كل يوم).

ويقول(صلى الله عليه وآله وسلم): (أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم).

إلى غيرها من النصوص المتضافرة المروية عن رسول الله وأهل البيت(ع)[1].

٣ - الابتعاد عن التمييز بين الأبناء:

إن المساواة قانون سماوي ومنهج حضاري، أكدت عليه تعاليم الأنبياء والأوصياء وطبقه العلماء في حياتهم الاجتماعية

---

[1] - (ميزان الحكمه ج٨ ص٣٢١).

والأسرية.

والمساواة عنصر أساسي لخلق الأجواء المشجعة على الالتزام بمفاهيم الدين وتعاليمه، وعامل من العوامل المشجعة على وجود الرفاه واستتباب الأمن وإشاعة روح التآخي والتعاون وشد أواصر المحبة لأبناء المجتمع الواحد.

ولذلك ألغى الإسلام العنصريات والتمايز، وأوضح أن التفاضل لا يكون إلا بالعمل الصالح، وحارب النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) التيارات العنصرية والتمايز القبلي والطائفي في حكومته الإسلامية في ذلك العصر، وكان يقرب الحبشي والرومي والفارسي والأسود والأبيض لا لأحسابهم وأنسابهم وألوانهم إنما لأعمالهم الصالحة.

وكان دائماً يؤكد أن التفاضل عند الله عز وجل(بالتقوى) يقول تعالى: **{إن أكرمكم عند الله أتقاكم}**.

وكان(صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: (الناس سواسية كأسنان المشط).

وعن جابر بن عبد الله: خطبنا رسول الله خطبة الوداع فقال: ياأيها الناس ألا إن ربكم واحد، ألا إن أباكم واحد، لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله

أتقاكم، ألا هل بلغت؟!.

قالوا: بلى يارسول الله.

قال: فليبلغ الشاهد الغائب.

فالعمل الصالح والتقوى والكفاءة هي الميزان المعمول به في المجتمع الإسلامي، لتقييم الفرد من أجل سموه وانحطاطه.

وحينما أراد بعض المسلمين الحط من قدر سلمان لأنه أعجمي ردعهم الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ففي ذات يوماً يوم دخل سلمان إلى مجلس الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) فوجد وجهاء قريش، فتخطاهم وجلس في صدر المجلس، فغلى الدم في عروقهم، وقال له بعضهم: من أنت حتى تتخطانا؟!

وقال آخر: ما حسبك ونسبك؟!

قال سلمان: أنا بن الإسلام، كنت عبداً فأعتقني الله بمحمد، ووضيعاً فرفعني بمحمد، وفقيراً فأغناني بمحمد، فهذا حسبي ونسبي، والمسلمون إخوة ليس بينهم فارق، وليس الخير بالجاه والمال ولكن بالعلم والحلم والعمل الصالح.

فقال رسول الله: صدق سلمان، صدق سلمان، من أراد أن ينظر إلى رجل نور الله قلبه بالإيمان فلينظر إلى سلمان[1].

---

[1] - راجع أعداء الامة الإسلامية ودعاتها ص ٩.

وكيف كان، عندما يحطم الإسلام كافة أشكال التمايز والعنصريات والتميز الطائفي يتشدد أيضاً في منع التمايز الأسري بين الأولاد فقد أكد الإسلام على عامل المساواة بين الأولاد، واعتبره عنصراً مهماً في نجاح التربية الأسرية، فلا يحق للأبوين أن يميزا بعض أبنائهما على بعض، لما لهذا العمل من عواقب وخيمة على حياة الأسرة، وعلى نفسية الأبناء في المستقبل، حيث تسود الكراهية وتشيع فيهم روح البغضاء والشحناء، فتفشل الأسرة في وسط الاجتماع. فقد أكدت البحوث النفسية أن فقدان عامل المساواة عامل من عوامل تفشي العقد النفسية في حياة الناشئين.

يقول الرواة: أن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) نظر إلى رجل له ابنان فقبل أحدهما وترك الآخر، فنهره النبي وقال له: فهلا ساويت بينهما؟).

ويقول الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم): اعدلوا بين أولادكم، كما تحبون أن يعدلوا بينكم في البر واللطف)[1].

وقد أمر الإسلام الآباء في مجال واحد فقط بتقديم الفتيات على الفتيان وذلك في التقبيل والرعاية. يقول النبي(صلى الله عليه وآله وسلم): من دخل السوق فاشترى تحفة فحملها إلى عياله كان

[1] - (ميزان الحكمه ج٢ص٨٧).

كحامل صدقة إلى قوم محاويج...

ثم يضيف الرسول قائلا:

ويبدأ بالإناث قبل الذكور...)[1].

ومن الغريب بمكان أننا نرى مبادئ الإسلام وقيمه وتعاليمه الحقة بهذه المثابة والحرص والرعاية لقضية المساواة الأسرية، في حين أننا نرى كثيراً من الأسر بعيدة تمام البعد عن منهج الإسلام في قضية المساواة الأسرية بين الأولاد، فترى أباً مثلاً يفضل البنات على البنين، وترى آخر يفضل البنين على البنات، وترى أماً تفضل ابنتها فلانة لأنها تتميز بصفة عن أخواتها، وترى آخرين من الآباء والأمهات يعطفون على بعض الأولاد ويتركون آخرين.!!

وكم، وكم سمعت ورأيت كثيراً من الآباء والأمهات يتعاملون بقضية العنصرية والتمايز والتفاضل في أسرهم، لا التفاضل العلمي، ولا الديني، ولا الأخلاقي، إنما التفاضل اللوني تارة، والعاطفي تارة أخرى، فيسبب بطبيعة الحال هذا التعامل انشقاقات و انحرافات كبرى في داخل الأسرة وخارجها.

---

(١) - بحار الانوار مجلد ١,٤ ص ٩٣

وسائل التربية الصالحة:

إن الله عز وجل لا يحب التخلف لعباده، وهو قادر على إزالته لأنه على كل شيء قدير، ولكنه أحكم وأعدل من أن يصنع النصر والفوز والتقدم والنجاة للأمة والمجتمع والأسرة والفرد، إذا أخذهم حالة من حالات التقاعس عن تأدية الواجبات والأعمال الإسلامية التي فيها عزهم ونصرهم وفلاحهم المحتوم.

إنه سبحانه وتعالى يريد تغيير أوضاع الأسرة، والمجتمعات والأمم، والأفراد من حال إلى حال.. ولكن(بشرطها وشروطها)، وتغيير ما بالنفس من شروطها المؤكدة بقوله تعالى **{إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم}** وليس هناك أسرة أو مجتمع أو أمة تخلفت عن تغيير ما بالنفس وصلت إلى سلم الكمالات والنصر المحتوم قط.

ولذلك أمرنا الشارع المقدس بالرعاية الكاملة للأسرة المسلمة اليوم، حتى نصنع انعطافة كبرى في حياة الجيل الصاعد، والأمة الإسلامية في كافة حقوقها العلمية والعملية.

يقول الإمام الصادق(ع) ابنك يلعب سبع سنين ويؤدب

سبع سنين وألزمه نفسك سبع سنين)[1].

فتكريم الشاب المراهق، والمبالغة باحترامه طريق لاستثارة عواطفه وطاقاته ومواهبه.

فالمراهق يتطلع إلى احترام أبويه وذويه وسائر الناس، ويرغب في أن ينظر إليه بعين التقدير، كفرد عامل في المجتمع، وأن يعامل كالكبار في الحديث والنقاش، وفي الترحاب والسلام، وفي جميع الشؤون العادية الاجتماعية، ويتألم المراهق بشدة لو عاملناه بسلوك فضولي أو أوليناه محبة وحناناً باعتباره طفلاً قاصراً، ذلك لأنه يشعر أن الآخرين لا زالوا ينظرون إليه بعين الطفولة، دون أن يبدوا أية رغبة في التعامل معه على أساس أنه أصبح بالغاً وكاملاً.

وهذه المسؤولية مناطة بالآباء والأمهات، لأن الأسرة هي المسؤول الأول والأخير عن أخلاق المراهقين.

يقول بعض المتخصصين في الشؤون التربوية:

" الأسرة للطفل هي بيئة طبيعية يمكنه فيها النضوج، إلا أنها لا تكفي لنشاط الشباب لا سيما الذكور منهم بعد البلوغ، حيث يصيبه الضجر من أعمال البيت، لأنه يرغب في التجوال

---

(1) - الوسائل ج٥ ص١٣٥.

مع الأصدقاء الحميمين الذين وقع اختياره عليهم، وبعدها فإنه لم يعد وديعاً، ويضحى من المشكل فرض السلطة عليه أو يستحيل أحياناً.

كلما اشتد العود، كلما قل صبر المرء إزاء سير الأسرة، فأي نوع من سلطة الآخرين تبدو وكأنها ثقيلة، وأي نوع من الضغط وتشديد الخناق يبدو وكأنه لا يطاق، والشاب في الأساس لا يدرك سبب وجود وضرورة هذه الضغوط»[1].

التربية الصالحة عبر الوسائل الصالحة:

تعد التربية اليوم من أهم مقومات الحياة السعيدة والنجاح في حياة الجيل الصاعد، وهي المنبع الصافي الذي يغرف منه الأطفال، عواطفهم وأحاسيسهم ومواهبهم العلمية والعملية..

وإن عملية التربية الإسلامية التي يأمرنا بها قرآننا وديننا الحنيف تتمثل بشكل خاص في علاقة الأبناء مع آبائهم، لكونها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بحياتهم الأسرية، فقد اعتبر القرآن الكريم الأبناء(زينة الحياة الدنيا)، وهي مسؤولية ضخمة يقع عاتقها على الآباء والأمهات، فقد اعتبرها الشارع مسؤولية وفريضة

---

(1) - راجع كتاب الفضل ج٢ ص٨٣.

واجبة لا يمكن الإفلات منها.

والمتطلع بإمعان إلى الأحاديث الواردة عن أهل بيت العصمة(ع) بخصوص التربية الإسلامية والرعاية الكاملة لشؤون الأسرة المسلمة، بالخصوص في هذا الوقت العصيب، الذي تكالب علينا فيه الاستعمار، بكل قواه العلمية والعملية، يدرك مدى اهتمام الإسلام بموضوع التربية الأسرية، وجعلها الله سبحانه وتعالى من أفضل الأعمال والقربات التي يتقرب بها الإنسان المسلم لربه سبحانه وتعالى.

جاء في الحديث القدسي:

قال موسى(ع):(يا رب.. أي الأعمال أفضل عندك؟.

قال عز وجل: حب الأطفال ورعايتهم، فإني فطرتهم على توحيدي، فإن أمتُّهم أدخلتهم برحمتي جنتي.

وأشار الإمام علي بن الحسين السجاد(ع) في بعض أقواله في رسالة الحقوق بقوله:(وأما حق ولدك فأن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره وأنك مسؤول عما وليته به من حسن الأدب والدلالة على ربه عز وجل، والمعونة له على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه..

ويقول الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم): وتجب للولد على والده

ثلاث خصال: اختياره لوالدته وتحسين اسمه والمبالغة في تأديبه).

ويقول الإمام الصادق جعفر بن محمد(ع): قال لقمان لابنه: يا بني إن تأدبت صغيراً انتفعت به كبيراً، ومن عني بالأدب اهتم به ومن اهتم به تكلف علمه، ومن تكلف علمه اشتد له طلبه، ومن اشتد له طلبه أدرك به منفعته)[1].

ليس هناك حضارة ولا أمة ولا أسرة تستطيع أن تصل إلى قمة السعادة الحقيقية التي ينشدها الإنسان المؤمن في عالم الدارين إلا بتربية أولاد له تربية صالحة، وفق مبادئ الدين وتعاليم الأنبياء والمرسلين، وإلا سوف تصبح الأسرة معول هدم ودمار على المجتمع والأمة الإسلامية.(ومن لم يتعلم في صغره لم يتقدم في الكبر).

مسؤولية إثاره العقل البشري عند الأبناء وهم صغار مسؤولية الآباء والأمهات، فذكاء الطفل ينبع من أسلوب تعليم الطفل داخل الأسرة ومدى اهتمام الآباء والأمهات به.

ينقل أنه كان ابن سيناً جالساً عند أحد الحدادين، فجاء طفل وسلم على الحداد وقال له: إن أمي تقرؤك السلام وتسألك جمرة توقد بها القدر.

---

(1) - تحف العقول ص٢٣٨.

فقال الحداد للطفل: اذهب وأحضر إناء أضع لـــك فيــه الجمرة.

لكن مترل الطفل ليس قريباً، فتلفت الطفل حواليه و لم يجـد شيئاً يضع فيه الجمرة فتناول حفنة من الــتراب في يـــده وقـــال للحداد: ضع الجمرة، على التراب ولن تحرق يدي.

فوضع الحداد الجمرة على التراب، وهم الطفل بالذهـــاب فناداه ابن سينا وسأله قائلاً: كيف عرفت أن التراب يعزل حرارة الجمرة عن يدك؟!.

فقال الطفل: لا تستغرب فلست أنا وحدي بهذا الذكـــاء، بل إن في بلادنا آلاف الأطفال على درجة من الذكاء، ولكـــن قدر لنا أن نصبح من الكادحين ذوي الحرف البسيطة ليبرز مثلك عالماً ليس له منازع، ثم أدار وجهه وذهب.

إن ما على هذا الطفل من الذكاء كـــان الســبب الأول والأخير في إبرازه التربية التي استفادها من وحي أسرته، واهتمام الآباء والأمهات بهذا الجانب جدير بأن يخرج جيلاً قادراً علــى إصلاح الأرض بمن عليها، ولا سيما إذا أخذ الآباء والأمـــهات بوسائل التربية الصالحة وجعلوها نصب أعينهم، فإنها خير وسيلة لصلاح أبنائهم وتوجيه قدراتهم الفعلية والعلمية نحو الأفضل.

وكان السر الوحيد في رقي الحضارات الـــتي حكمـت

الأرض، واستطاعت أن تحصل على سعادة الدنيا، والتقدم الحضاري والعمراني والعلمي، يكمن في أخذهم بأسباب وعوامل التربية الحسنة لأبنائهم وجيلهم الناشيء.

يقول يولس فير أستاذ في جامعة(هارفارد):(بالدراسات يمكننا أن ندرك الفضيلة والحكمة ونمارسها، تلك هي التربية التي تعمل على أن تستدعي وتدرب وتنمي أعظم المواهب العقلية والجسمية التي تشرف الإنسان ويضعها العقلاء في المرتبة الثانية من الكرامة بعد الفضيلة مباشرة، ولا سيما أن نأخذ بأسباب التربية الحسنة...).

وقد أكد حفيد محمد المصطفى(صلى الله عليه وآله وسلم) الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) بقوله: قال لقمان لابنه: «يا بني إن تأدبت صغيراً انتفعت به كبيراً، ومن عني بالأدب اهتم به ومن اهتم به تكلف علمه، ومن تكلف علمه اشتد له طلبه، ومن اشتد له طلبه أدرك به منفعته».

من هنا لا بد من مراعاة ما يلي من الوسائل في التربية، حتى يتسنى لنا جميعاً نجاح الدارين(الدنيا والآخرة) وهي كما يلي:

١- المربي قدوة وأسوة:

كما هو معروف قديماً قالوا (لولا المربي ما عرفت ربي) والتزام المربي نفسه وتكامله في مجالات التربية الحسنة، والسير وفق مناهج العلم والدين والأخلاق، خير دافع ومحفز للأبناء أن يحذوا حذوه وأن يسيروا على أقواله وأفعاله، كما أن للأسرة أثراً فعالاً في تكوين السلوك الشخصي للطفل، فمنها يتعلم اللغة والأعراف الخلقية، والعادات الاجتماعية، والمنهج العلمي الذي يسير عليه في حياته... ولقد نقلت الأسرة إلى أبنائها حضارات الأمم السابقة، وعاداتها وتقاليدها.

يقول بعض علماء التربية: إن الآباء لو رحلوا من الأرض إلى كوكب آخر، وتركوا أبناءهم، ثم عادوا إليهم بعد عشرين عاماً لوجدوهم قطعاً من البهائم والحيوانات، التي لا تفهم ولا تعي أي شيء... حيث أن الطفل يتعلم من أسرته النضج العقلي والتقاليد الدينية، وغير ذلك من الأعراف التي تشكل الحياة الاجتماعية في الأرض[1].

ومما لا شك فيه أن سلوكيات الأب والأم داخل الأسرة، له انعكاسات على عقلية الطفل المستقبلية وبلورتها فإن كانت

---

[1] - (راجع النظام التربوي في الإسلام ص٨٠).

حسنة أعطت نتيجة حسنة، وإن كانت سيئة أعطت نتيجة سيئة.

لذلك من الضرورة بمكان أن لانستهين بتصرفاتنا أمام الأولاد، وخصوصاً السباب والشتم البذيء عند نشوب الخلافات بين الزوجين، ينبغي أن لا نعيش حالة التناقض والازدواجية السلوكية داخل الأسرة، وخصوصاً على الأقل أمام الأولاد، حتى لانصبح مصداقاً واقعياً لقوله تعالى **{أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم}**.

يقول بعض الشعراء:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء وأنت أحوج للدوا
وتعالج المرضى وأنت سقيم

وجاء التأكيد في تعاليم الإسلام الحنيف أن يكون الإنسان المؤمن داعية ليس بلسانه إنما بسلوكياته وتصرفاته ولا سيما داخل الأسرة.

يقول الإمام علي(ع):

«إنكم إلى اكتساب الأدب أحوج منكم إلى اكتساب

الفضة والذهب»[1].

وحتى تعرف قيمة الأدب والسلوك الحسن المنعكس على سلوكيات الأولاد، فحينما ترى على ولد سلوكاً وتصرفاً خاطئاً تقول أنه غير مربى، وليس له قدوة حسنة داخل أسرته حتى يتخلق ويتعلم الأدب، وعندما ترى من آخر تصرفاً وسلوكاً حسناً يعجبك ويشد انتباهك تقول في قرارة نفسك أنها من التربية الأسرية، وتثني عليه وعلى والديه.

وفي نهاية المطاف يجب أن نتنبه إلى نكتة مهمة، وهي أنه ليس باستطاعة كل أسرة أن تقوم بالتربية الصحيحة، وليس بإمكان حجر كل أب أو أم أن يصبح أحسن مدرسة للطفل، فالشرط الأساسي هو أن يكون جو الأسرة نزيهاً وعفيفاً وخالياً من الفساد والإجرام والخيانة وارتكاب الخطأ،بل يشترط أن يكون الوالدان حائزين على صفات وملكات فاضلة. فالوالدان المنحرفان لا يستطيعان أن يربيان في أحضانهما أطفالاً صالحين فإن(فاقد الشيء لا يعطيه).

ولقد قال الشاعر:

---

[1] - (نهج البلاغه ص٤٣).

يا أيها الرجل المعلم غـــيره   هلا لنفسك كان ذا التعليـم
أبدأ بنفسك فأنهها عن غيـها   فإذا انتهت عنه فأنت حكيـم

لقد أدى إسراف المدنية الحديثـــة في الجوانـــب الماديـــة والشهوات الحيوانية إلى إضعاف الجوانب المعنوية والروحية. فـإن كثيراً من الأسر فقدت معنوياتها على أثر التلوث بأنواع الجرائـــم والذنوب، وأنتجوا في النهاية أولاداً مجرمين ومنحطين، فاســـدين ومنحرفين !!.

وفي كثير من الأسر لا يواجه الطفل إلا أساليب فاســـدة وبعيدة عن الأخلاق، ولا يتجلى أمام ناظريه الثاقبين إلا أمثولـــة السلوك الأهوج والإهمال والكسل.

من المؤسف أن هذه الحقيقة غير قابلة للإنكار، وأن عـــدداً كبيراً من حوادث السقوط والانهيار في المجتمع ينبع مـــن هـــذه النقطة. وإذا لم يقدر طفل أن يظهر بصورة إنسان كامل في مثـلل هذه الأسر المنحطة، وسببت إرادته المهملة التائهـــة نوعـــاً مـــن الفوضى والاضطراب في المجتمع، فيجب أن نقـــول: أن أســـرة واحدة قد قصرت في أداء واجبها الطبيعي.

لقد كتب الدكتور(آدفرين) بهذا الصـــدد: «إن مســـألة التربية في الأسرة تصطدم بهذه النقطة، وهي أن الوالدين يجـــب أن يكونا غنيين بالعواطف الجياشة والأفكار المثالية، حتى تشع هـــذه

الصفات منهما إلى الخارج، وتنير الطريق لطفلهما وتحثه على السير في الطريق الصحيح".

" لقد أصبحت الأسرة جواً مخزياً للتربية بصورة عامة، لأن الآباء والأمهات في العصر الحديث قد تجاوزوا الحد المقرر في السذاجة أو العصبية، أو الضعف، أو الشدة وربما يعلم أكثرهم بعض العيوب لأطفالهم. فما أكثر الأطفال الذين يجدون صوراً مختلفة عن سوء الأخلاق، والفساد والمشاكسة، والسكر في البيت والأسرة، والكثيرون منهم إن لم يجدوا مثل هذه القضايا في البيت فلا بد وأنهم تعلموها من أصدقائهم. فيمكن القول بلا مبالغة أن كثيراً من الآباء والأمهات في العصر الحديث يجهلون تربية أطفالهم مهما كانت الطبقة التي ينحدرون عنها. والمدارس أيضاً لا تستطيع بعد أن تؤدي واجبها، لأن الأساتذة لا يختلف سلوكهم عن سلوك الأبوين كثيراً... "

" والخلاصة أنه ليس بإمكان المدرسة ولا الأسرة أن تعلم الطفل أسلوب الحياة الأمثل. ولهذا السبب فإننا نجد في وجوه الشباب مرآة صافية قد انطبعت عليها صورة عدم كفاءة القائمين على تربيتهم "

" إن التناسل في أكثر الشعوب تحضراً آخذ في التناقص، كما أنه لا ينجب إلا نسلاً وضيعاً... قد أتلفت النساء أنفسهن

اختياراً بشرب الخمر والتدخين، كما أهن يعرضن أنفسهن لخطر (الريجيم) رغبة منهن في نحافة أجسامهن، وعلاوة على ذلك فإنهن يرفضن الحمل... ويعزى هذا النقص إلى تعليمهن وأنانيتهن...»[1].

ويضيف بعضهم عن أهمية الأسرة بقوله:

" ليست لأية تنظيمات اجتماعية تأثير في بناء الطفل مثلما يؤثر البيت، لأن فيه يوضع الحجر الأساس للأخلاق، وفي بيت(حسن) ومتماسك تتهيأ وسائل الكمال بنحو أسرع، ويعان الطفل على التقدم خطوة خطوة في طريق الاعتماد على النفس، والجدارة والرغبة بالعمل وتحمل المسؤولية والتفاهم.

وفي بيت(رديء) يمنع من التقدم نحو الكمال، ويشعر الطفل أن لا أحد يريده، ولهذا السبب ربما لا يتحرك في حياته بثقة واطمئنان، أو يتخوف من كثرة ما يتعرض له من تهديد، ويخشى كل شيء بحيث يخجل من الحياة بعد فترة، أو يتعامل معه الأبوان بشكل لا يمكن الطفل في أي حين من التقدم.

إذن: القدوة والمربي الحسن طريق النجاح الأسري، والتربوي، والعلمي والعملي لحياة المراهق الأسري في هذا القرن،

---

(1) - راجع الطفل بين الوراثة والتربية ج٢ ص٢٤٤.

وأن يكون صالحاً ومثمراً يسير نحو حياة أفضل إن شاء الله تعالى، وإلا فلا جيل ولا تربية صالحة ولا حياة مثالية ولا سعادة دائمة.

٢- الجلسات الخاصة مع الأولاد:

هناك نقطة واضحة في مسيرة الأسرة المسلمة اليوم خصوصاً، وهي فقد الرعاية الأسرية من الآباء والأمهات بشؤون الأولاد العاطفية والعقلية، فقد يخرج الأب إلى العمل ويعود وهو مرهق لا طاقة له على رعاية أولاده أو النظر إلى وجوههم، يأكل ويشرب وينام، وهكذا إلى اليوم الثاني وإلى نهاية الأسبوع، مما يسبب فقد العلاقة بين الأولاد وآبائهم وهذا هو نفس العمل الذي تنتهجه المرأة العاملة اليوم، وربما يزيد قليلاً أو ينقص شيئاً ما.

ولذلك فإن أكثر الأطفال فساداً وانحرافاً هم الذين لم يحظوا برعاية آبائهم وأمهاتهم.

إنني وبكل إخلاص وحمية وشفقة على الأبناء في هذا القرن أهيب بالآباء والأمهات أن يرعوا التربية الأسرية اليوم، وخصوصاً عند ما استحوذ علينا الاستعمار بأجهزته المختلفة، لكي يفسد عقول شبابنا وفتياتنا عبر أقماره الصناعية، فقد ينتج سنوياً(٢٠٠) قمر صنع في مختلف القطاعات والأعمال، وكل

ذلك يستهدفون دمار الأسرة المسلمة اليوم.

وأن تعود الأمهات إلى تقاليدنا وعاداتنا الأصيلة، التي عرفناها من أمهاتنا وآبائنا عبر الأخلاق والعفة والخشية الحقيقية من الله عز وجل، وتحمل أعباء المسؤولية الأسرية اليوم أكثر من أي يوم مضى.

يقول شوقي:

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعباً طيب الأعراق

و إننا نهيب برب الأسرة وربان السفينة ومسير دفتها، أن يراعي في تربية بناته وأبنائه التربية الإسلامية الصافية الخالية من الشوائب، والنابعة من عاداتنا وتقاليدنا الأصيلة الممتدة عبر القرون، والقيم النبيلة، والأخلاق الفاضلة،والأقتداء بحياة العظماء في تاريخنا الإسلامي..

وماذا يمكن للأب أو الزوج أو الأخ أن يقول إذا قالت الفتاة أو البنت أو الزوجة أو الأم يوم القيامة: يا رب خذ حقي من هؤلاء الذين لم يتقوك فيّ و لم يعلموني الأدب والدين؟.

قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): «ما من عبد يسترعيه

الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة»[1].

فإذا نشأت الفتاة على المسلسلات وتقليد الممثلات وحفظ أسماء المطربين والمطربات، ولا تعرف من الحياة إلا " ميكي ماوس" و " وتوم وجيري " و " مستر تي " و والسندباد " والأفلام المدبلجة، أمثال "اكواد لابي "و.... وما إلى ذلك من التفاهات والسخافات، و الآفات و ما نسميه جهاز الفيديو وغيرها.. فأي خير نرجو أن نجنيه منها عندما تكبروتصبح زوجة وأماً لأبناء !.

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا يستقيم إذا قومته الخشب

كما أتمنى أن يزيد جهازنا الإعلامي من إذاعة وتلفزيون بفضل توجيهات شيوخنا الأفاصل، من جرعة التوجيه الإسلامي والإعداد التربوي السليم، ليساعد الأسرة فيما تصبو إليه من تربية أبنائها وبخاصة الفتيات تربية سليمة لا اعوجاج فيها.

ونعود إلى دور الآباء.. قال رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم): " كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول ". وقال(صلى الله عليه وآله وسلم)

---

[1] - (ميزان الحكمه ج٦ص٤٥).

" من عال ثلاث بنات: فأدهن، وزوجهن، وأحسن إليهن، فله الجنة ". رواه الترمذي من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وجاء في رسالة لأخ: بعنوان (بدون أخلاق) «..الأنوثة لم تبدع في الإنسان جسداً وصورة فحسب، بل قد سكبت في الإنسانية أيضاً مع لبن الرضاع من ذوب حبها وحنينها ما أحال غموض الطفولة وغفلتها إلى وضوح وعبقرية في استيحاء معاني الإنسانية، من النظريات والبسمات وقسمات الوجوه، وفي إيحائها.

لا بل من هذب الرجولة في بواكيرها فبدلها بالغلظة شهامة ومروءة، وبالوحشة أنساً وفرحاً، وبالأنانية فيضاً وفداءً، وباللا مبالاة تعلقاً وتمسكاً؟ من ثقفها في فجرها. فكشف لها عن أسرار الحياة؟ من فهمها نجوى الطير، وهمس النجوم، ووشوشات الغدران؟ من أحال لها خيام الناس وأكواخهم فراديس تفيض على الوجوه غبطة ونعمى وسلاماً؟ أية ساحرة مست بأناملها العبقرية هذه الفتوة البكر، توقظ فيها البطل خلوقاً فناناً، فتستعيد الحياة على يديه جدها وصبوها، همة وتوثباً وفيضاً بالمعاني، لحظة بعد لحظة وجيلاً بعد جيل إلى أن تفنى الحياة ولا فناء؟!.

من فعل فينا كل ذلك غير طيف الأنوثة يوم تراءت لنا بقامتها الطلقة وقسمات وجهها المهذبة، مع أحلام الشباب وأمانية العذاب.

فالأنوثة ليست جسداً فحسب، بل هي قبل ذلك تجسد للحب المقدس والجمال والدقة والروح المهذبة والتعلق النبيل.

فلو استطاع الرجل العبقري أو غير العبقري أن يعيش هذه المظاهر الإنسانية الأصيلة في رسالة أو هواية أو كلمات، فإنه قد يستطيع أن يستعيض بها عن المرأة، ولكن استعاضة الظمآن عن الماء القراح بمنظر الفواكه وغيرها !... وهيهات» !!.

«فتاة الجامعة لا تفرق بين حرم الجامعة وصالة عرض الأزياء»:

هذا ما قالته إحدى الكاتبات في الأخبار، وهي تعيب على بنات جنسها، وتنعى عليهم هذا التصرف المعيب، ثم تضيف: "فهي تذهب إلى الجامعة في عز الصباح، بفستان ضيق يكاد ضيقه يمنعها من الحركة، مع الكعب العالي الذي تنتعله... وعندما تغيره تستبدل به فستاناً واسعاً تحته أكثر من "جيبونه" تشل بدورها حركة صاحبتها، وتجعلها أشبه بالأبجورة المتحركة وهي فوق هذا - إن نسيت كتبها ومجلد محاضراتها فهي - لا تنسى أبداً الحلق، والعقد، والسوار، والبروش، التي تحلي بها أذنيها وصدرها وذراعيها وشعرها في غير تناسق أو ذوق !!!

ثم مضت الكاتبة تقول: وهذا كله يرجع في رأيي إلى أن

الفتاة الجامعية عندما لا تأخذ الدراسة الجامعية مأخذ الجد... فهي تضع فوقها زينتها وأناقتها... والمفروض أن يكون العكس هو الصحيح، في وقت نالت فيه ثقافة المرأة أعلى تقدير - ليس معنى هذا أنني أطالب الفتاة الجامعية بإهمال ملابسها وزينتها - ... إني أطالب بالاهتمام أولاً بدروسها، ثم بتخفيف مكياج وجهها، إن لم يكن مراعاة لحرم الجامعة، فعلى الأقل مراعاة لبشرتها التي يفسدها كثرة المكياج، في سن تكون نضارة الوجه فيها أجمل بكثير من المكياج المصطنع... ثم بعد ذلك أطالبها بالحد من استعمال الحلي " كما قال بعض شعراء العرب:

وما الحلى إلا زينة من نقيصة يتمم من حسن إذا الحسن
وأما إذا كان الجمال موفراً كحسنك لم يحتج إلى أن يزورا

وتضيف: أطالبها بارتداء الملابس البسيطة التي تناسب الفتاة الجامعية كالفستان " الشيزييه" و "التايير" ذي الخيوط البسيطة، والفستان الذي تنسدل جوبته إلى أسفل، في وسع خفيف لا يعرقل حركتها... والجوب والبلوزة، أو الجوب والبلوفر، أو الجوب والجاكيت. وأن تراعى في اختيارها لهذه الأزياء الألوان الهادئة التي لا تثير " القيل والقال" بين زملائها الطلبة.

إنني أطالب الفتاة الجامعية باتباع هذا... وأطالب أولياء أمورها بضرورة الإشراف التام على ثياب بناهم، فالفتاة في العهد الجديد لم يعد هدفها الأول والأخير في الحياة جلب الأنظار إليها " بالدندشة والشخلعة"... إنها اليوم يجب أن تصقل بالثقافة والعلم والذوق السليم، فلم يعد أقصى ما تصبو إليه هو مكتب سكرتيرة تجلس عليه لترد على تلفونات المدير، وإنما المجال قد فتح أمامها وجلست إلى مكتب الوزارة... ".

وهذه الحالة قد أثارت اهتمام زائرات القاهرة من الأجنبيات، أفصحت عن ذلك الرأي صحفية إنجليزية زارت القاهرة أخيراً، وكتبت مقالاً في مجلتها تحت عنوان: المرأة الغربية غير راضية عن تقليد المرأة الشرقية لها... تقول: لقد صدمت جداً بمجرد نزولي أرض المطار، فقد كنت أتصور المرأة الشرقية المتحضرة التي ترتدي الأزياء العملية التي تتسم بالطابع الشرقي، وتتصرف بطريقة شرقية، ولكنني لم أجد شيئاً من هذا، فالمرأة هناك هي نفسها المرأة التي تجدها عندما تنزل إلى أي مطار أوروبي، فالأزياء هي نفسها، والمكياج هو نفسه، حتىطريقة الكلام والمشية، وفي بعض الأحيان اللغة، إما بالفرنسية أو الانجليزية.

وقد صدمني من المرأة الشرقية أنها تصورت أن التمدين

والتحضر هو تقليد المرأة الغربية، ونسيت أنها تستطيع أن تتطـــور وتتقدم كما شاءت، مع الاحتفاظ بطابعها الشرقي الجميل»[1].

وهناك صحفية أمريكية مشهورة أمضت عدة أســــابيع في القاهرة، وزارت خلالها المدارس، والجامعـــــات، ومعســـكرات الشباب والمؤسسات الاجتماعية، ومراكز الأحـــداث، وبعـــض الأسر في المجتمع العربي... وهي تعمل صحفية متجولة، تراســـل أكثر من ٢٥٠ صحيفة أمريكية، ولها مقال يومي، يقرؤه الملايـين ويتناول مشاكل الشباب تحت سن العشرين، وعملت في الإذاعـة والتلفزيون، وفي الصحافة أكثر من عشرين عاماً، وزارت جميـــع بلاد العالم.

تقول الصحفية الأمريكية بعد أن أمضت شهراً في القاهرة: " إن المجتمع العربي كامل وسليم، ومن الخليق بهـــذا المجتمـــع أن يتمسك بتقاليده التي تفيد الفتاة والشاب في حدود المعقول. وهذا المجتمع يختلف عن المجتمع الأوروبي والأمريكي، فعندكم تقـــاليد موروثة تحتم تقييد المرأة وتحتم احترام الأب والأم، وتحتم أكـــثر من ذلك، عدم الإباحية الغربية، هذه القيود التي يحددهـــا اليـــوم المجتمع العربي على الفتاة الصغيرة ـــــ وأقصد ما تحت العشـــرين

[1] - (راجع موسوعة المعلومات ص٥٤٣).

ـــــ هذه القيود صالحة ونافعة، لهـــذا أنصـــح أن تتمســـكوا بتقاليدكم وأخلاقكم، وامنعوا الاختلاط وقيدوا حرية الفتاة، بـــل ارجعوا إلى عصر الحجاب، فهذا خير لكم من إباحية وانطـــلاق، ومجون أوروبا وأمريكا. امنعوا الاختلاط قبل سن العشرين، فقـــد عانينا منه في أمريكا الكثير، لقد أصبح المجتمع الأمريكي مجتمعـــاً معقداً، مليئاً بكل صور الإباحية والخلاعة، وإن ضحايا الاختلاط والحرية قبل سن العشرين، يملأون السجون والأرصفة والبـــارات والبيوت السرية. إن الحرية التي أعطيناها لفتياتنا وأبنائنا الصغـــار قد جعلت منهم عصابات أحداث وعصابات " جيمس ديـــن " وعصابات للمخدرات، والرقيق... إن الاختـــلاط والإباحيـــة والحرية في المجتمع الأوروبي والأمريكي قد هدم الأسر، وزلـــزل القيم والأخلاق، فالفتاة الصغيرة تحت سن العشرين في المجتمـــع الحديث تخالط الشبان، وترقص " تشاتشا " وتشـــرب الخمـــر وتدخن السجائر، وتتعاطى المخدارت باســـم المدنيـــة والحريـــة والإباحية.

والعجب في أوربا وأمريكا أن الفتاة الصغيرة تحت العشرين تلعب... تلهو وتعاشر من تشاء تحت سمع عائلتها وبصرها، بـــل وتتحدى والديها ومدرسيها والمشرفين عليها، تتحداهم باســـم الحرية والاختلاط، تتحداهم باسم الإباحية والانطلاق، تتزوج في

دقائق... وتطلق بعد ساعات، ولا يكلفها هذا أكثر من إمضاء بعض هنيهات وعريس ليلة - أو لبضع ليال، وبعدها الطلاق - وربما الزواج فالطلاق أخرى ".

لقد صرخت النساء في الغرب... وفي بلاد دعوة التحرير الزائف في مظاهرة ضخمة للنساء عام ١٩٧٠م في شوارع ستوكهولم عاصمة الدانمارك... صرخن في مظاهرة عارمة، ورفعن لافتات ينددن فيها بالإباحية، وهذا التحرر الذي لا يقصد منه سوى تدمير المرأة:

نرفض أن نكون أشياء.

نرفض أن نكون سلعاً لتجارة الإباحية. أعيدوا إلينا أنوثتنا.

نريد أن تعود المرأة إلى البيت.

سعادتنا لا تكون إلا في المطبخ.

ولقد انتحرت " داليدا " صاحبة ما يزيد على خمسين مليون اسطوانة ! ولقد قالتها "مارلين مونرو" نجمة وملكة الإغراء كما يسمونها... قالت في رسالتها التي كتبتها قبل انتحارها " إني أتعس امرأة على سطح هذه الأرض... لم أستطع أن أكون أماً... إني امرأة... أفضل البيت... الحياة العائلية الطاهرة الشريفة لأن هذه الحياة هي سر ورمز سعادة المرأة بل الإنسانية بأسرها... لقد ظلمني المجتمع لأنه أخذ مني كل شيء و لم يعطني أي شيء "...

أليس في هذه الشواهد الحية الواقعية من العبرة والحكمة والتجربة ما يوفر على المسافرات في قطار التحرير المسافة وذات المصير[1]؟!

إننا اليوم بحاجة ماسة إلى مصادقة الأبناء داخل الأسرة، لأن الآباء والأمهات لا يستطيعون أن يمارسوا دور التربية الحسنة ويوجهوا عواطف المراهق نحو الصالح العام، إلا إذا عملوا بهذه القاعدة:

(مصادقة الأبناء ضرورة) لمن يريد التربية الحسنة المنشودة في العالم الدارين عالم الدنيا والآخرة).

ولذلك يقول أحد المتخصصين في هذا الصدد: إن أنجح المدرسين ليس ذلك الذي يمتلك بسطة في العلم والجسم، وإنما ذلك الذي يكسب قلوب التلاميذ، ويصادق أبناءه، ويستطيع أن يؤثر فيهم ويحببهم إليه بكل سهولة وأبلغ تأثير، ومن الملاحظ تربوياً أن الطفل يتعلق تعلقاً شديداً بمن يحاول مصادقته والتقرب إليه، سواء كان ذلك أحد والديه أو أي شخص آخر.

أتذكر - والكلام للمتخصص التربوي - أنه كان في مجتمعنا رجل طاعن في السن دأب على مصادقة الأطفال، وكان

---

[1] - راجع للمزيد النصائح الذهبية ص٢٧٩.

شغوفاً بحبهم والتقرب إليهم. حتى أنه استطاع أن يكسب الكثير منهم ويترك أثره الأخلاقي والديني والعلمي البالغ على سلوكياتهم وشخصياتهم، ترى ماذا كان يصنع هذا الشيخ؟!!

لقد كان جيبه - دائماً - لا يخلو من قطع حلويات، والنقود الصغيرة التي كان يوزعها على الأطفال أينما وجدهم، سواء كانوا يلعبون في الطرقات أو يجلسون في أحضان أمهاتهم وآبائهم في الباصات، أو في المحافل العامة، وكانت شفتاه لا تفتأ تنفرج عن ابتسامات عريضة هي التي تستهوي الصغار إليه.

وعندما توفاه الله لم يحزن الأطفال لموته فحسب، بل وحتى الكبار، ذلك لأنهم كانوا يرجعون إليه حينما كانوا يريدون إقناع أبنائهم أو منعهم من شيء لشدة تعلقهم به[1].

لذلك عزيزي الأب، عزيزتي الأم، أنتما بحاجة إلى قاعدة(المصادقة للأبناء)، حاولوا أن تجلسوا مع أبنائكم ساعات وتسردوا لهم القصص النافعة، عن الإسلام والدين والعقيدة الإسلامية والأخلاق النافعة، وقصص مشاهير أبطال الإسلام وأعلامه من العلماء، ومعارك الدين مع خصومه. وتظهروا اهتمامكم المتزايد بحبهم والرعاية العاطفية لهم، وتلبية حاجياتهم

---

[1] - راجع الأسرة الفاضلة ص٦٢.

المادية والمعنوية بشكل معتدل، وأن تحلوا مشاكلهم العلمية العقلية والعاطفية، وتزيحوا من أمامهم العقبات الكأداء التي تحول دون الوصول إلى الهدف المنشود، ولا سيما أن تدعوهم إلى مصاحبة العلماء وأهل الفضل والتقوى والأخلاق الفاضلة.

وكان عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل(رض) إذا رأى طالب علم قال: مرحباً بكم ينابيع الحكمة ومصابيح الحلكة، خلقان الثياب جدد القلوب، رياحين كل قبيلة، إنني آمر أهلي وأولادي أن يلزموا معاشرتكم فإن فيها سعادة الدارين (الدنيا والآخرة)[1].

٣ ـ *ملء فراغات المراهق:*

قديماً قالوا أن الفراغ شيء قاتل.. ليس فقط للإنسان بل لكل ما في الحياة البشرية على وجه الأرض، وقد يكون بالنسبة للإنسان أفدح وأخطر شيء يصل به إلى بؤر الفساد والإفساد الأخلاقي والتربوي والاقتصادي والديني والعلمي معاً، فيتحقق عند ذلك انهيار الإنسانية بكاملها، بسبب تفسخ الجيل(المراهق) وفساده على كافة الأصعدة والأنشطة العلمية والعملية على حد

[1] - راجع عين الأدب والسياسة ص٧.

سواء، وقد لوحظ أن عمل فرد وأسرة ومجتمع يصاب بنوبات الكسل والفتور، يكون السبب عائداً إلى تواجد أوقات الفراغ القاتل في حياتهم.

ولو أخذنا بعض الدول العربية التي ينشر فيها الكثير عن قضايا المراهقين والمراهقات، على سبيل المثال لا الحصر، لدراسة مشكلة أوقات الفراغ التي يعانيها الشباب، لرأينا التبدلات التالية وهي نتيجة خطيرة للغاية، وقد تنعكس على بعض المجتمعات الإسلامية والأسر المسلمة اليوم:

١- انحسار أعداد الشباب المنتمين إلى الجمعيات الكشفية الشبابية بنسبة هائلة، إذ أن الأعداد المسجلة للعناصر المنتمية إلى هذه الجمعيات في أحسن الظروف لا تزيد عن الأعداد المسجلة منذ عشرين عاماً مع أن تعداد السكان اختلف دون أدنى شك.

٢- انشغال(المراهقين) داخل بعض المؤسسات الفاسدة التي يكون الشاب عبرها العلاقات الخاطئة مع الجنس الآخر، مما سبب تفسخ الذهنية العقلية وانتشار الأمراض الجنسية والعقلية بشكل عام.

٣- استغلال عقلية(المراهقين) وملء فراغاتهم بانتماءات مخربة في العالم الإسلامي كجر(المراهقين) إلى مؤسسات تدعي ملء الفراغات بشيء مثمر في الدارين(الدنيا والآخرة) وإذ به

يتحول إلى مفسدة التوجيهات المذهبية والعنصرية والسياسية الخاطئة تماماً.

٤- انشغال كل عائلة بنفسها عن سواها، وتزايد المشكلات والأعباء العائلية، إلى حد يحول بين الشباب والتفاعل مع أسرهم الكبرى، أي مع أبناء الأعمام والأخوال والأقارب، لأن كل مجموعة من هؤلاء منشغلة عن الآخرين بمشكلاتها الخاصة، وإذا ما انفتحت على بعضها، زادت المشكلات بدل أن تقل مما تسبب قطيعة الرحم، حتى وصل بهم الحال أن الأقارب لا يعرفون بعضهم البعض.

٥- عدم توافر الوقت اللازم للجلسات الأسرية الحميمة، التي يمكنها وعبرها أن تملأ أوقات الفراغ في حياة المراهق بالخبرة الحياتية، كأن تحوي الجلسة الأسرية أنشطة دينية وتربوية وأخلاقية في أوقات الفراغ للمراهق، ولا سيما أن تجعله ينخرط في الأنشطة المهنية الممنهجة من أجل أن يكتسب مهنة في حياته في وقت فراغه، وكما يقول الإمام علي(ع) (مهنة باليد أمان من الفقر).

٦- اغتنام الفراغ، وهو من النعم التي يغفل كثير من الناس عنها ويجهلون قدرها، ولا يحاولون اغتنامها في حياتهم اليومية قبل فوات الأوان، فعند ذلك يندمون ويخسرون أيما خسارة، نعمة

(الفراغ) والوقت.

عن ابن عباس عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) قال: نعمتان من نعم الله مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ.

لأن اليوم الذي يمضي عليك أيها الإنسان لا يعود، ليس في الإمكان استعادته.

ينقل عن ابن مسعود(رض): ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه نقص فيه أجلي و لم يزد فيه عملي.

وقال الإمام علي بن الحسين(ع): واجتهدوا أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لله لمناجاته، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الإخوان الثقات الذين يعرفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذاتكم، وهذه الساعة تقدرون على ثلاث الساعات[1].

ولا شك أن العوامل المفسدة الكثيرة إذا توفرت في حياة «المراهق» تسبب له الدمار، ولا سيما إذا اجتمع الفراغ والقوة الفعلية والجسدية مع تزايد القدرة الغريزية والمالية في حياته التي تمكنه أن يحصل على ما يشتهي وفي أي وقت شاء.

وفي هذا يقول أبو العتاهية في أرجوزته:

---

[1] - (راجع كتاب الوقت ص٥٤).

إن الشباب والفراغ والجـدة   مفسدة للمرء أي مفسـدة

ويقول الآخر:

لقد هاج الفراغ عليه شـغلاً   وأسباب البلاء من الفـراغ

يعني بالشغل الذي هاجه الفراغ عليه: شغل القلب وتعلقه بالشهوات وأحلام اليقظة، مما لا يثمر إلا سوء العواقب في الآخرة والأولى.

تزايد الجريمة بسبب الفراغ:

عندما نقف على نتائج الفراغ المفسدة فإننا نصاب بالذهول وتنتابنا حالات الاستغراب والتفكير، هل يصل الأمر بالأسرة وأفرادها والمجتمعات إلى هذا المعدل من تزايد الجرائم والمنكرات والفساد؟!!

الجواب: نعم والسبب الوحيد هو الفراغ القاتل.

يقول جورج لوند بيرغ في كتابه(البطالة): إن أيام البطالة هي عبارة عن الأيام التي نكون فيها أحراراً من أوضح وأهم الوظائف التي نأخذ على أدائها أجراً أو الملتزمين بأدائها. وجاءت قضية البطالة بأثر تطور الاختراعات التي خفضت عمل الإنسان أكثر من السابق.

في عام (١٨٤٠م) بلغت ساعات أسبوع العمل لكل عامل نحو (٨٤ ساعة)، بينما جرى تقليلها عام (١٩٣٠م) إلى خمسين ساعة وأقل، وانخفضت ساعات العمل الأسبوعي في كثير من البلدان إلى(٤٠ ساعة)، ويحتمل أن تخفض إلى مستوى أقل أيضاً".

العمل والنشاط كان في سالف الزمان هو المحور الأساس والهدف الرئيس للحياة الاجتماعية في رأي الناس، أما التسلية والترفيه فكان أمراً ثانوياً لا ضرورة له.

ذلك أن الأعمال آنذاك كانت تؤدى باليد وبقوة الإنسان المحدودة، وبالنتيجة لم يكن الإنتاج وفيراً، فيما تفرض ضرورة الحياة المزيد من العمل من أجل إنتاج أكثر.

وكان الإنسان في الماضي يضطر للقيام بأعمال صعبة ومتواصلة لتأمين حاجياته الأساسية، وبالتالي كان ينظر إلى العمل نظرة احترام وإلى البطالة نظرة اشمئزاز، إلاّ أن الأوضاع تغيرت كلياً في الوقت الحاضر. ولا يستطيع الإنسان أن ينظر اليوم بنفس نظرة الاحترام القديمة تلك إلى العمل، بسبب قدرة إنتاجه أكثر من معدل استهلاكه، ببذل جهد ووقت أقل من السابق. وعلى إله العمل أن يهبط من عرش جلاله وجبروته العريق ويقدم مكانه إلى إله الترفيه.

علينا أن ندرك هذه النقطة، وهي أن أيام البطالة أي الأيام التي يجب أن تقضى بالترفيه والراحة هي فقط تلك الفترة التي تجعل من الحياة حياة تستحق العيش فيها، وإننا نطيق الأيام الأخرى فقط لأنها تؤثر في إغناء أيام البطالة والفراغ وتعطيها القيمة والأهمية".

انتشار الجرائم بسرعة مذهلة:

" يقول رئيس وزراء الهند الاسبق نهرو في(أفكار نهرو): إن ساعات الفراغ والبطالة هي من أهم القضايا التي تواجهنا والتي ستطرح في المستقبل، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وسائر البلدان المتقدمة اقتصادياً، والتي تسير صناعاتها وشؤونها الاقتصادية الآن نحو التطور وبشكل واسع.

وليست هذه القضية مطروحة على بساط بحث البلدان النامية كالهند مثلاً، مثلما هي مطروحة في الولايات المتحدة، وفي أوروبا خاصة في الدول الاسكندنافية، وفي أمريكا فهي الأشد من بين بقية البلدان، وستتخذ على ما يبدو في المستقبل شكلاً أوسع.

نقرأ في الصحف الصادرة في مختلف أنحاء العالم موضوعات حول الفساد والجرائم عند الشباب، والانحطاط العام في المبادئ

الأخلاقية والانضباط الروحي للبشرية التي تحصل في المجتمعات الثرية والأكثر ترفاً.

ما العمل إزاء هذه القضية الجديدة لاستغلال ساعات الفراغ؟ إن العثور على جواب لهذا السؤال ينطوي على أهمية كبيرة، ذلك لأننا إن لم نعالج القضية بنحو صحيح فسيحل نوع من الانحلال الروحي والأخلاقي في الحضارة نفسها.

عندما تحل قضية البطالة، تتقدم قضية تالية وأكبر من الأولى وهي استغلال وقت الفراغ. وطالما كان الإنسان منهمكاً بالعمل، ويسعى من أجل الحياة سواء أكان السعي منهكاً عسيراً نظير أعمال بلدنا، أو كان أكثر سهولة كما هو الحال في البلدان المتطورة، فإنه يكون مشغولاً. ولكن حينما تحل قضاياه الاقتصادية والاجتماعية وترفع عن كاهله حمل العمل الثقيل، بسبب تطور الماكنة، فإننا نواجه قضايا جديدة لا سابقة لها أبداً. كقضايا جرائم الشباب والاغتصاب الجنسي وازدياد القتل وشيوع استخدام المشروبات الكحولية وتمرد القوى المدمرة والفوضى ومئات الميكروبات الأخرى التي تسبب المرض النفسي والانحطاط الأخلاقي ".

يقول صاموئيل كونيغ: بسبب خفض ساعات العمل في السنوات الأخيرة، فقد تحولت التسلية أو نشاط ساعات الفراغ،

إلى قضية اجتماعية حياتية، واسترعت اهتمام الكثير من الباحثين. وتقول دراسات هؤلاء العلماء أن اختلالات ستحصل في حياتنا أو في شخصياتنا، طالما لم نستطع استغلال أوقات فراغنا المتزايدة بشكل عقلاني. فالإنسان بطبعه كان يميل إلى الحصول على وقت فراغ أكبر، لكنه واجه هذا الخطر وهو سعة أوقات فراغه أكثر مما يستوعبه، ويخشى أن يجلب أخطاراً كبيرة تهدده وتهدد المجتمع بسبب عدم قدرته على استغلال هذا الوقت بشكل حكيم، ولهذا أصبحت قضية قضاء ساعات البطالة اليوم من أصعب القضايا التي واجهتها حتى الآن معظم المجتمعات.

الفراغ وانهيار الأسرة أخلاقياً:

" يقول ويل ديورانت: وكما كانت ثروة عصر النهضة سبيلاً إلى تحريره وحريته وفنونه، كذلك ثروة العصر الحاضر السائد في كل مكان، والتي فاقت كل ثروة أدبية، هي التي بدلت قانون الحجاج القاسي بتساهل النفوس المتحررة. ويعد تغير أيام الآحاد عندنا من أيام راحة وعبادة إلى رحلات وأفراح وثنية لا حد لها، دليلاً واضحاً على تبدل أخلاقنا وحياتنا المتحررة. ومن الأسهل أن يكون الإنسان فاضلاً حين يكون فقيراً، ويقدر أن

يقاوم الإغراء في بعض الأحيان إذا كان فادح الثمن. ولكن دع جيوبنا تتضخم بالمال، ودع عزلة الناس تحجبنا عن أعين الجيران، وسوف نلتمس نسيان الهموم في وجوه الحسان، ونتحرق لإظهار رجولتنا لقلوبنا ذاتها.

ومن العبث أن يرثي علماء الأخلاق لحال رفاهيتنا الحديثة في الزينة والمزاج، فهذا الأمر يقوم على دوافع كانت موجودة على الدوام، وتجد الآن أمامها فرصة نادرة للظهور. وستظل النتيجة على ماهي عليه حتى تغير الظروف الاقتصادية من هذه الحال. فما دام نظام الآلات يضاعف أوقات الفراغ، ويستبدل الأعمال اليدوية بالأعمال العقلية، فإن الطاقة التي كانت تصرف مع الأعمال الجسمانية سوف تصعد إلى الدم، وتجعلنا في غاية الحساسية للمؤثرات الجنسية ".

" إن نشاط أوقات الفراغ الذي كان في الماضي محدوداً بالبيت وذا بعد اختياري، تعرض لتغيرات مدهشة إثر الهجرة الكثيفة للقرويين إلى المدن، والاختراعات الكبرى كالسيارة والسينما والمذياع والتلفزيون، وللأسف فإن القضايا الناجمة عن زيادة أوقات الفراغ لم تعط الأهمية الكبيرة من جانب علماء الاجتماع كما يقول(لونديرغ) في كتابه، لأن علماء الاجتماع لا زالوا تحت وقع ذات النظرية الاقتصادية القديمة التي تعتبر

الإنتاج أهم من الاستهلاك، وتهتم بالعمل أكثر من البطالة، ويبدو أن البطالة تكتسب أهمية أعلى يوماً بعد آخر.

ويرى بعض علماء الاجتماع أن البطالة بمثابة موضوع عاطفي، ويضعونه خارج إطار بحوثهم العلمية، بينما القضية معكوسة تماما، حيث يجب أن تستحوذ هذه القضية على كامل اهتماماتهم، لأن البحوث العلمية هي وحدها القادرة على توضيح ما سيفعله الإنسان في أوقات بطالته، مما يؤمن له أقصى حد ممكن من النفع، ويمكن القول أيضاً أن كيفية قضاء أوقات الفراغ يعكس إلى حد ما حضارة أي شعب»[1].

---

[1] - راجع للمزيد من المعرفة كتاب الشباب بين العقل والعاطفة ج٢ ص٣٨٥.

الفهرس